مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط
Rawafed center for Studies and Researches in Maghreb Civilization and Mediterranean Heritage
rawafedcenter.org

محمد الفجداميّ وأحمد التوفيق:

قول عن كتاب التّسلي عن الآفات

حفر في علاقة أحمد التّوفيق بنصّ التّسلي.

قسم الدراسات

محمد صلاح بوشتلة

باحث في الفلسفة

20 دجنبر 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019

«لم أسأله عمّا إذا كان يؤمن بإنصاف التّاريخ،

وعمّا إذا كان ممن يأبه لذلك»

أحمد التّوفيق، **متنوعات محمد حجي**،

دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

" أنا مستعد للتخلي عن كل مشاهد العالم مقابل مشهد طفولتي"

إميل سيوران

على سبيل التّقديم:

في تاريخ المغرب أسماء قليلة تلك التي استطاعت المزاوجة بين الوزارة والكتابة؛ أي التّراوح بين اعتلاجات السّياسة وهَدأة الكياسة. عبد الرّحمن ابن خلدون ولسان الدّين ابن الخطيب كانا من الزّمن البعيد محسوبين على هؤلاء، وعبد الهادي بوطالب مثلاً من هذا الزّمن كان منهم، ومع هؤلاء جميعا أمكن إدراج اسم أحمد التّوفيق الوزير المكلف بالحقل الدّيني منذ مدة. ودون أن تنهاهم مشاغل الوزارة والمسؤوليات الجسيمة عن التأليف والكتابة التي اعتبرها ف. كافكا صلاة بطقوس خاصة، صلاة تستغرق أوقات مهمة للتطهير والخشوع والتّأمل والتّدوين.

كل هؤلاء حاولوا أن يجدوا وقتًا لهذه الصّلاة، وامتازوا كلهم بالإكثار في التّأليف، وتخصيص شطر صالح من وقتهم له، فالمؤرخ ابن خلدون ليتفرغ لكتابة **المقدمة** رابط في خلوته بقلعة بني سلامة أربع سنوات متواصلة؛ يكتب ويصحح ويهذب. أحمد التّوفيق من جهة لم يختر مكانًا لخلوته، لأنه وجد في الكتابة، دون الأمكنة خلوته التي وجد فيها الحسنى وزيادة، حاملاً معه قريته إِمَرِغْنْ في خياله، يسكنها في خياله، ويسكّنها أعماله، فيحتال على ما فضل من وقته، ليخرج لنا كل مرة عملا جديدا أو مجموعة أعمال دفعة واحدة في عام واحد: رواية أو دراسة أو تحقيقًا، لتكون منه على التّاريخ المغربي لا يدُ فضلٍ، يمثلها عمل مهم، بل الحسنى وزيادة مؤديا ما عليه اتجاه تاريخ وهوية، ولينضاف إلى وفرة الإنتاج التي قدّمها هذا الرّجل الذي لطالما حمّل نفسه مسؤوليةً، أبى كثيرون حملها؛ باحثون ومؤسسات تحملها، مسؤولية الشّهادة وإعادة تصوير مشاهد ضاعت ولم تعد، إذ يُصّر كل مرة على إخراج نصّ مهم ما، وشاهد ما على كذا فترة تاريخية، لتشغله مَهمة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الوثائق الحاسمة في

التّعبير عن تاريخنا، ومعها وضع رسومات تخييلية واضحة ومعبرة عن حياة المغربي في زمن مضى واندثر. حياة الإنسان المغربي لا الرّسمية التي قد كتبها المؤرخ الحِرَفي لوُلاة الأمر، بل الحياة العادية المتعلقة بالإنسان البسيط صاحب الأدوار البسيطة والهامشية في التاريخ.

لقد بقي أحمد التّوفيق وفيًّا للحياة الأكاديمية من داخل الوزارة، وبقيت الكياسة عنده، تبتز بل وتبزّ السّياسة عنده، فالحيوية الأكاديمية لديه لم تسلبها مشاغل ومشاكل الانتماء لمن يديرون دواليب الدّولة، يفكون إشكالاتها الكبرى، ويضعون خرائط الطّريق للمستقبل، ويفترعون مسالك جديدة، وضمن كل هذا يعيشون تحت وطأة إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل غير المناسبة للمعيش، أحمد التّوفيق دون أن يستسلم لضغط العمل الوزاري ظل كما سلفه ابن الخطيب وابن خلدون وابن صاحب الصّلاة وابن القطان قادرا على أن يؤلّف وينتج، وذلك من خلال بروزه المتكرر وبكذا وجه، وعلى أكثر من صنف؛ روائيًا بشكل متكرر، أو عبر دروسه الحسنية التي تبقى وجهات نظر أكاديمية ودقيقة عن حال الدّين والتّدين عبر التّاريخ المغربي، أو عبر تحقيقاته، أو عبر دراساته لقضايا تهم التّاريخ المغربي وتهتم بمشاكل الإنسان البسيط الذي يمثلها الصّوفي محور اشتغال أحمد التّوفيق.

لقد ظل إنتاج الأعمال الأدبية وإنجاز الأوراق البحثية الأكاديمية الرصينة مهنة أحمد التوفيق التي يُتقنها بشكل جعله ينجز أبحاثًا وينساها[1]، فالموسوعية تليق بالرجل الذي جمع بين الأدب والتاريخ مثله في ذلك مثل أستاذه جيرمان عياش الحائز على شهادة التّبريز في الآداب الكلاسيكية، والقصاص، وهي الموسوعية نفسها التي جعلته ثاني اثنين في تحرير **معلمة المغرب**

[1].كما حدث مع كتابه **الإفتاء والتاريخ: قضية المرجع الديني في النقاش حول التنمية في الإسلام** الذي لم يذكّره به إلا صديقه ذ. عمر أفا (**الإفتاء والتّاريخ: قضية المرجع الديني في النقاش حول التّنمية في الإسلام**، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 1441 هـ، 2019 م، ص. 5.).

التي يمكن عدّها مشروعا وطنيا بامتياز، وذلك رفقة أستاذه محمد حجي، ليتحمل الاثنان مسؤولية إخراجها ويقتسما تعب وإرهاق سدّ ثغرة ورتق ثُلمة من تاريخ المغرب، الشّيء الذي جعلهما يلتقيان بشكل يكاد يكون يومياً لمدة عشر سنوات[2] ومعها متاعب كثيرة يكفي للاطلاع عليها فتح الجزء الأول من المعلمة وبالضبط على التّقديم الذي وضع للمعلمة.

أكيد أن تحقيق النّصوص هي حرفة أتقنها جيدًا أحمد التّوفيق منذ أمد طويل رفقة محققين كبار كالفقيه المنوني ومحمد حجي وغيرهم من رعيل المحققين المغاربة الأوائل، حرفة غرّرت به كثيرا، كما غررت به الرّواية، فلم يجد عنهما بديلًا، ولا عوضًا، ثابر على إبقاء حبل الود لهما، لذا فكما وجد الوقت ليكتب رواياتٍ وسط مشاغله، فبالتأكيد تحمل متاعب كبيرة ليجد لنفسه الوقت ليُحقق نصوصا تراثية والتي منها نصّ الغجدامي. فالتّحقيق مع أحمد التّوفيق لم يعد يمثل له جانبا أو جزءا من وجه البحث الأكاديمي الذي هو أحد وجوه التّوفيق، بل صار يمثل عند القارئ والمتتبع الحصيف للفكر المغربي مدرسة يمثلها وجه أحمد التّوفيق باختياراته العلمية في التّحقيق، وباختياراته لصنف معين من الوثائق، بل وتعدى الأمر كل هذا ليكون أو بالأحرى ليمثل «حقبة»، وهي «الحقبة التّوفيقية» كما وصفها محمد مفتاح[3]. حقبة تسميت في إغناء عملية التّحقيق بمستجدات المناخ العلمي المعاصر، ليكون علم التّحقيق عنصر من بنية علمية شاملة في مقابل الحقبة الوضعية التي سبقت المرحلة التّوفيقية المكتفية بما هو موجود في النّص وهي حقبة المستعربين ومن ورث تركتهم المنهجية.

[2]. أحمد التّوفيق، **في تاريخ المغرب**، 233.

[3]. محمد مفتاح، **ما وراء تحقيق النّصوص**، ص. 131.

هل يكون أحمد التّوفيق محايدا في اختياره التّحقيقي هذا؟ ولم بالضّبط كتاب الغجدامي؟ هل يرى فيه نفسه أيام الطّلب؟ أم يرى في **التّسلي** شيئًا من سيرته هو؟ فبينهما أكثر من شَبه، وكلاهما كان والده مولعًا بالقرآن، شغوفًا ومُصرًّا على تحفيظ ابنه آيات الذّكر المبين، إذ كيف يترك أحمد التّوفيق نصوصًا مهمة في التّصوف والتّاريخ، هو وقليلون يعرفون بها حق المعرفة، ويعرفون قيمتها، خاصة وهو مدير المكتبة الوطنية لسنوات، كيف له أن يتوجه رأسا لمخطوط **التّسلي**، ويوجّه مجهوده دون أن تشغله الوزارة ومشاغلها ليحقق هذا النّص الذي بالتأكيد رآه أحمد التّوفيق مهما ويستحق التفاتة محقق مثله؟ فهل يكون لتصوف الرّجل دخْل في هذا؟ أم يكون اهتمام الرّجلين بدمنات التي تفرغ أحمد التّوفيق لها في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا وفي رسالة للدكتوراه وبقي يعاود البحث في مواضيع تهمها؟ أو لربما لهوس أحمد التّوفيق الرّوائي الذي يُداخل مساره العلمي والأكاديمي حتى ليكاد يُدخل الضيم عليه هو من قد يكون وجه أحمد التّوفيق لتحقيق هذا العمل الذي يظل قريبا من الرّواية السّير ـ ذاتية على الرّغم من أنه يبقى بعيدا منها من كذا جانب ومسافة؟، أم تراه رأى في هذا النّص ما يشفي غليله فيما يخص منطقة بدأ منها مساره الأكاديمي؟ أو لربما يكون تحقيق هذا النّص هو من صميم مهام الوزارة والوزير مادام الاثنان ـ الوزارة والوزير ـ يلتقيان في مقصد واحد ومبدأ واحد هو العناية بأهل القرآن وبخاصته، ونص **التّسلي** هو نصّ حافل بمعاناة وأحلام ورهانات طالب القرآن المتفاني في تحصيل علوم عصره الشّرعية، وإن في زمن آخر، وفي مغرب آخر، غير أنه ما يزال حيّا ما دامت كثير من تقاليد الطّلبة جارٍ بها العمل للآن، نصّ فرض نفسه على المحقق لما يتميز من صدق في الحكاية وصراحة في عرض الأحداث الشّخصية، لأنه كتب يومياته لنفسه لربما، والمرء قد يستطيع كل شيء إلا أن يوهم نفسه ويكذب عليها أمام مرآة نفسه وهي الكتابة.

1 – أحمد التّوفيق وسيكولوجيا الأعماق:

كناسك في دير الكتابة وفي محراب التّأليف، وكباحث عن لحظة الوصول الصّوفية، التي يقر الصّوفي بأن السّالك الذي يقرّ لنفسه بالاتصال معها فقد كفر وارتد عن حقيقة الطّريق، الأخيرة التي تجعله دوماً في فورة بحث متقد عن هوية يراها دوما منقوصة وغير مكتملة، يشرئب أحمد التّوفيق بفكره ليُكمل نواقص هذه الهوية، مرمّمًا خرومها وراتقا لمِزَقها، وكأن شيئًا مُنفلت منه، أو أن شيئا كان بيده وضاع منه، فهو يحاول دومًا القبض عليه، يوثّقه بأحابيل الكتابة الرّوائية مرة، وبفخاخ التحقيق مرة، وبمصائد الدّراسات الأكاديمية مرّات ومرّات، وذلك ليوقعه في شباك أكثر من مؤلف ورواية وكتاب مخافة أن يضيع مرة أخرى أو يهرب وينفلت، ولننتظر نحن الصّيد الثّمين والطّرائد القادمة من صيّاد مخطوطات مهمة وصياد شخوص تاريخية بالغة الأهمية ومتعقب أحداث وقضايا.

رغم أن المحقق يضع لنصّه **التّسلي** مقدمة قد يكون ودَّ بها، وبهوامشه التي أثث بها صفحات النّص أن يفتح بها أكثر من قوس وأكثر من سؤال وملاحظة عن إمكانات قراءة النّص، لبيان رهانات عمله الممكنة بالنسبة لتاريخ مرحلة وحقبة، وقد تكون رغبته من مقدمته تلك الإحاطة التّامة بالعمل بحديد قيمته، وفي نفس الوقت توضيح المأمول من استحضاره للنص وبعثه له من جديد والاشتغال عليه، وكأن المحقق يسد عبرها على القارئ احتمالات التأويل واحتمالات فتحه لأقواس القراءة الممكنة. غير أن شهرزاد رغم أنها سكتت منذ مدة بعيدة غير أن آلاف القراء لا يزالون يفتحون الأقواس على حكاياتها، وهنا القارئ وبسوء نية أو بحسنها يود أن يتوغل في النّص أكثر فأكثر ليكتشف المستور؛ إذ الكاتب، وإن أغلق على

نفسه قوسين أو مقدمة كاملة، فإنه لابد أن يدخل عليه قراؤه من جهة التّأويل، بدعوى محاولة الاستيعاب وتحت نفس الذّريعة: الفهم الجيد للمؤَلِّف والمؤلَّف دون أن ننسى فضح نوايا المحقق، وبالتالي التّورط في متاهات الأسئلة وفضاءات التّأويل، وذلك مهما أغلق محقق النّص من أقواس، ومهما وضع من مقدمات مستفيضة أو مقتصدة ودقيقة سنضطر دوما لمناوشة النّص والعارف به، أي محققه نستفزّه بقراءاتنا وننتهز الفرص في وضع إجابات عن نواياه.

يحذو المحقق أحمد التّوفيق هاجس، وتستبد برَوعه حاجة غريبة، في سعيه الذؤوب نحو إقامة صرح تاريخ المغرب، خاصة في الجانب المهمّش منه والمنسي واللامفكر فيه، أي الجانب غير الرّسمي للطبقات التي لا يعبأ لها، والفئات غير المأبوه بها، كالقرية مجالا، وكالمساكين والزهاد والعباد كيانات ومجموعات، والتي يصير الحديث عنهم مع أحمد التّوفيق كأحد أركان أو جوانب التاريخ التي لا يمكن قراءة التاريخ إلا من خلالها وبها، متدخلا في ذلك انتماءات المؤرخ والمحقق والروائي أحمد التّوفيق الأولى، وارتباطاته النّفسية، فهو بقدر ما يتخفّى خلف نصوصه التي يقذف بها إلينا بشكل متتال، ليبقى هو في مأمن من تأويلات قرائه ومن تهمهم نصوصه، وذلك بحسب درس فلوبير، في هذا الصّدد، عن اختفاء الكاتب خلف مؤلفاته، ليبقى سراً غنوصيًّا آمنًا، محتميًا وراء أبطال رواياته (محمد بيزين، وعمر وعلال والبقية) أو أبطال دراساته (أبي يعزى مثلًا) الذين اختار التّوفيق التّحدث إلينا عبر محاورتهم وبث لواعج اهتماماتهم في نصوصه السّردية المجنحة بخيال الحكي، والنّصوص الأخرى المسيجة علميا. مستثمراً سياقاتهم المختلفة، لنعتقد نحن قراؤه، والمهتمون به وبمقارباته وأساليب تحليله، ونجزم في قرارة أنفسنا أنّه في حقيقته لا يعدو أن يكون كائناً يظهر كي يمسح أثره كي لا يظهر، كائناً هُلامياً، لا جدوى

من الإمساك به، بل ولا فائدة من اللّحاق به، ولتبقى مهمة الكشف عن شخصه غير المفصح به لنا، شيئا هو في عداد المستحيل وغير الممكن.

سيترسخ لدينا، أمام أعمال أحمد التّوفيق الغنية والثرية والمتعدد الأجناس، وبحسن نية منّا، جدوى أن نكتفي بنصوصه، ولا شيء غيرها. نتوقف عند ما تطرحه من أفكار، قد يظنها الكاتب بأنها تُبعدنا عنه، بقدر ما تقربنا من نصه، بدعوى قديمة، تجد دوما، من يثق بها لأنها يجد فيها راحة وهدأةً جميلة أنّه: «ليس هنا إلا النّص ولا شيء غير النّص»، غير أن الحقيقة أن هذه النّصوص هي وجه من حقيقة شخصه الكريم، ووجه آخر من فلسفته، وأيديولوجياه، بل إنها الخيط النّاظم لسائر سيكولوجياه التي يعبر عنها مشروعه الفكري الذي يحكي قصة النّفس وهي تنتحل ما شاءت من صور وأقنعة، وتندس بين صور ما تشاء من إيحاءات لا تنفك تتحايل وتتحايل. فلا يبقى أمامنا غير الحفر ومحاولة كشف الصّور المندسة لتظهر لنا حقيقة الكاتب/ المحقق، حقيقته الخبيئة التي تعبر عن هوسه وما يسكنه ويساكنه، والتي تبني مواقفه وموافقاته التي تقف عليها أعماله، وتقف عليها سيرة أحمد التّوفيق الذّهنية ورهانات هذه السّيرة.

2- كيف تخون الرّواية مع التحقيق ؟:

تحقيق هذه النّوعية من النّصوص والأعمال أكيد أنها تدخل ضمن المهمات التي غامر التّوفيق بالعمل ضمنها ولأجلها، نصّ بالطبع لا يرقى أن يصل إلى منزلة **التّشوف** أو حتى **دعامة اليقين** وشهرتيهما، إنه نصّ هامشي عن الهامش، غير أنه يبقى أسياسيا في أي مهمة لاستعادة صور البنيات الثقافية التي عاشها مغاربة الزمن الذي ولّى وانسحب، التّاريخ الذّهني والاجتماعي للجماعة المغربية، ودخوله ضمن دائرة محاولة رصد وقبض ما ضاع من أشكال العلاقة بالحياة

وطبيعة المعيش اليومي لفترة فاتت هو ما يجعله يلتقي بأعمال أحمد التّوفيق التخييلة والأكاديمية. فعبر العمل الفني ـ التّخيلي والعمل العلمي الأكاديمي حاول التّوفيق تقريب الشّقة وردم الهوة التي كانت بين الشّفهي والمكتوب، فما كان عبارة عن حكي للجدات اللائي عشن طرفا من هذه المرحلة يتحول عند أحمد التّوفيق إلى أعمال أكاديمية تجدد علاقة المغربي بتاريخه المنسي، ما دام أغلب الذي حكاه الغجدامي سمعنا به عند الجدّات على الأقل في جانب منه، وهو جزء مما يصوره أحمد التّوفيق في رواياته، فيصر على تسديد النّظر الرّوائي بالعمل التّاريخي، والمشاهد الكرنفالية التي تزخر بها رواياته بمشاهد حقيقية من سيَر حقيقة تتفوق عليها في كرنفاليتها وفي غربتها المؤلمة والمضحكة. وهي العملية نفسها التي قام بها ابن الزيات في **التّشوف**، ولكن بشكل آخر يبتعد به عن التّخييل ويقترب به إلى ما حدث بالضّبط.

يأبى أحمد التّوفيق أن يخرج عن حِمى التّاريخ ويخونه، لهذا فكل ما يؤلفه يمتح من التّاريخ ويصب فيه، فحتى وهو يركب صهوة التخييل المجنح، فإنه لا يركبها إلا لينير لنا دروب التّاريخ، ويضيء طياته وثناياه التي تحاول أن تتجنب الضوء وتبرأ بنفسها عن الاهتمام، خاصة تاريخ المغاربة غير الرّسمي الذي لم يكتبه المؤرخون الرّسميون للدول المتعاقبة المنشغلون عادة بالأحداث الكبرى والشخصيات المهمّة، فمع **التّسلي** نحن في فترة مضطربة، عصيبة، وسائبة بشكل لا يتصور من تاريخ المغرب، فترة ملآى بالصراع والكوارث تشبه كثيرا جانبا من روايات أحمد التّوفيق، إذ تشبه المجال الزمني القرن الرّابع عشر، المجال الزمني لرواية **جارات أبي موسى**، وما عرفه من كوارث، ذلك القرن الحافل بالكوارث[4] وتشبه في جانب آخر جوانب رواية **شجيرة**

[4]. مايا شاتزميلر، **المؤرخون والسلطة في المغرب**، تعريب محمد شقير، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السّياسي، الدّار البيضاء، 1993، ص7. نقلا عن المصطفى مويقن، المتخيل الديني في رواية «جارات أبي موسى». الكرامة الصّوفية نموذجا.، ضمن مجلة فكر ونقد، ص.32.

حناء وقمر، فموسوعية الرّجل لا تتبدد على مستوى التّخييل بل تستثمر بشكل جيد ومُترف، ويَستغل أحمد التّوفيق الفرصة لتوزيعها في أعماله الرّوائية.

سيرة محمد الغجدامي تتقاطع كثيرا مع عوالم روايات أحمد التّوفيق حيث ضريبة الرّتبة وانتفاضات القبائل وإغارتها على بعضها، وحيث سطوة القياد وتجربة السّجن المريرة والظّالمة، في استلهام لتفاصيل المكان وفضاءاته الصّغيرة، الشّيء الذي قد يطرح السّؤال عن موقع كتاب **التّسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات** في أي مقارنة مع باقي روايات أحمد التّوفيق، فسيرة التّوفيق في **والدٌ وما ولدَ** هي شبيهة بهذا النّص من أكثر من وجه وناحية، وجه طالب العلم ووالده الذي يشبه والد محمد الغجدامي في أكثر من صفة، و**شجيرة حناء وقمر** هي شبيهة نصّ **التّسلي** من أكثر ومن وِجْهة وَجِهة، من جهة الزمن التّاريخي الذي ألقي فيه محمد الغجدامي والذي يقترب حد التماثل من الزمن الذي سبك فيه صاحب **شجيرة حناء وقمر** الزمن الرّوائي لروايته، وشبيهة من أكثر من وجه بـ**جاورات أبي موسى** خاصة مع حضور الأولياء والمجاديب في حياة الغجدامي الخاصة، حيث لا يجد حرجا من إحصاء أسمائهم في مدينته دمنات، ولا يجد حرجًا في ذكر علاقته الخاصة جدا بهم، فهل يكون التّوفيق كتب ما كتب على ضوء نصّ **التّسلي** الذي وقع بين يدي المحقق منذ ما يزيد عن أربعة عقود من الزّمن؟[5].

نص **التسلي** يبقى شبيها أيضًا برواية أحمد التّوفيق **السّيل** في انتقال بطليها من أحد الدّواوير البسيطة، ليفرضا نفسيهما على المدينة، فمحمد بيزين سينتقل من راعي غنم بسيط إلى رئيس معمل، والغجدامي ينتقل به حاله من طالب قرآن بسيط إلى مقرب فوق العادة من القايد المدني وبعد ذلك قاضيا مقربًا من أخيه الكلاوي، وكذا الأمر بالنسبة لمجال جريان الأحداث

[5]. التّسلي، ص.5.

في **السّيل** التي تتراوح أحداثها بين القرية والمدينة، بين سفوح الأطلس وأزقة مراكش ولتعود الأمور من حيث بدأت أول مرة، وهو نفسه مجال أحداث يوميات أو بالأحرى سيرة محمد الغجدامي ما بين دوّاره في غجدامة وبقية الدّواوير المجاورة ثم إلى دمنات فمراكش، ثم عودة صوب دمنات، في تراوح بين السّفح والجبل، وعاشا زمنين مختلفين زمن الاستعمار وزمن الاستقلال.

ونحن في معترك قراءة أعمال أحمد التّوفيق الرّوائية أمام أكثر من تناص، وإزاء أكثر من شبه وشبيه، فمن يقرأ نصّ **التّسلي** يجد شيئا منه في روايات أحمد التّوفيق، يتحسس شيئًا من عوالمه وكثيرا من معالمه، ويتلمس بعضًا من تناصاته، بشكل تكاد تتحكم فيه وتحكمه. فمحنة المؤرخ تكمن أولا في ذاكرته، إذ يصعب عليه دومًا نسيان ما أثّر فيها، وغالبًا ما ترزح هي وخوارجها تحت وطأة مرجعياتها، فتيوسيدس المؤرخ أخذ عن جماعة السّوسفطائيين، وعن فلسفات الطّبيعيين، وكثيرا من طب أبقراط، وشيئا من مسرحيات سوفوكليس، وكذا ابن خلدون أخذ من كتب الطّبقات ومن منطق ابن رشد وأصول الفقه وتصوف الشّاطبي وابن عباد الرّندي واستعان بكلام الرّازي وأخبار المسعودي. فالمؤرخ يعرف جيدا أن لكل شيء آفة وآفة العلم نسيانه، لذا يحاول أن يحيط ذاكرته بالسّنوات والأحداث البسيطة. ومن باب هذه التناصات الممكنة التي توفرها ذاكرة مؤرخ يكتب الرواية فإن نص **التّسلي** هذه الوثيقة التّاريخية تشبه في سياق ما سياق رواية أحمد التّوفيق **شجيرة حناء وقمر** بما هي الأخيرة كانت سردا آخر عن مغرب السّيبة والقياد والقصبات والمجاديب ورجال القبائل والنهب والملاح؛ أي المغرب الذي «لم يتبدل منذ العصور الحجرية»[6] وهو بنسبة مهمة مغرب محمد الغجدامي الذي

[6]. **المجتمع المغربي في القرن التّاسع عشر (إينولتان) 1850-1912**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط2، 1983، ص.9.

يحاكيه أحمد التوفيق في **شجيرة حناء وقمر** ليظهر نوع من الأُخوة بين الرّواية والتّاريخ، ينصهر فيها التّاريخ في الخطاب السّردي ويلتحمان معًا.

لأنه لا يعرف كيف ينسى؟ فالذخيرة المحفوظة جيدا في الذّاكرة غالبا ما تستقطب المؤرخ حتى وهو يريد أن يستريح من توثيقاته في أعماله التي لا تحتاج إلا وثائق، لأنها سقوط حر في عوالم التخييل. فالمؤرخ يشبه بذاكرته إلى حدٍ كبير «فونس» لويس بورخيس الذي «لا يحتاج إلى أن يكتب لأن ما يفكر فيه مرة واحدة لا ينمحي من ذاكرته»[7]، والذي «لم يكن يتذكر كل ورقة في كل شجرة على كل جبل وحسب، بل كل مرة رآها أو تخيلها»[8]، فالمؤرخ لا يكف عن اجترار ذكرياته، إنه كائن، بتعبير فرانوسا فوريه، «مغرق في القدم» (Immémorialisé) لا يستطيع أن ينهي نفسه ويُلجمها عن الاستذكار (mémorialisé) لذا تصير تناصاته كبيرة وتشرئب برأسها من أكثر من ثقب وجهة ونصّ.

يشبه أحمد التّوفيق هؤلاء الذين حقق لهم، حد التطابق على المستوى الشّخصي والحياتي، لا في انتمائهم البدوي إلى القرية فقط، وإنما على مستوى علاقاتهم الشّخصية جدا، خاصة علاقة هؤلاء بآبائهم، فهناك دومًا حضور للأب، حضور خاص ومؤثر يوجّه وينير دروبهم المتشابهة من قريب أو بعيد، بالغ التّأثير. الأب الذي خصص له التّوفيق كتابًا، وخصص له الغجدامي إشارات مهمة وملهمة لتحديد نوعية العلاقة، وخصص له التّوفيق فقرات مهمة في تقديمه لكتاب **التّشوف** عن علاقة صاحب مؤلف **التّشوف** بوالده.

7. ينظر خورخي لويس بورخيس، **ذاكرة فونس**، ضمن **قصص**، ترجمة محمّد أبو العطا القاهرة، المركز القومي للترجمة، ص.98.
8. نفس المصدر، ص.98.

يختصر أحمد التّوفيق كل شيء في الوالد، فيلغي كل عوالمه التي تدخلت بمشروطياتها في حياته لصالح مشروطية الانتماء الأبوي ومشروطيات عوالم الأب، فيقول: «كان بالنسبة لي ذلك الحاضر الذي لا يُطاق غيابه، والأب الذي عرفت من فضله أن الأمهات يحسنّ ما لا يحسنه الرّجال، عندما يتعلق الأمر بالفطام. فقد لازمني ظله ملازمة النّسغ للغصن الرّطيب.»[9]، وكما كان حرص التّوفيق في عمله الذي يريد به البرور بذكرى الأب وأداء ما يراه دينا للأب عليه، حرص على ترصد وتتبع الخيوط الرّابطة التي تشكل علاقة الوالد بالولد والحفر عما يمكن أن يكون من تأثير لتلك العلاقة ووقائعها في تشكيل شخصية الولد الأولى وتقعيدها[10]، فقد كان حرص التّوفيق كبيرا على رصد علاقة صاحب كتاب **التّشوف** بوالده، الأخير الذي لم يكن «من عوام البدو (...) الغارقين في البداوة بل مشارك»[11]، وكان سببًا مباشرًا في تحديد ولاء التّادلي لأهل الولاية والصلاح، تماما كما هو الحال عند الغجدامي الذي وجهه والده لأخذ العلم وحفظ كتاب الله، وحين كان يحتضر سألت الأم الأب: «ما تركت لابنك؟» ليجيبها: «أعانه الله على لوحته»[12]. وكما الحال بالنسبة لصاحب **دعامة اليقين** العزفي حيث يتوجه أحمد التّوفيق نحو البيت الذي نشأ فيه الرّجل، بيت ذي صبغة صوفية بارزة من خلال ندبهم النّاس للاحتفال بالمولد النّبوي[13] نزعة سرعان ما تحولت بهذا المحدث العزفي إلى جمع أخبار أبي يعزى وتنظيمها في كتاب خاص بمناقب هذا الرّجل المفرط البداوة.

---

9. **والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل**، ص.5.
10. **والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل**، ص.8.
11. **التّشوف**، ص. 19.
12. **التّسلي**، ص. ص. 43. 44.
13. العزفي، **دعامة اليقين**، ص. هـ..

أرشيف أحمد التّوفيق [14] أو بالأحرى سجل مكتوباته، يسجل لنا الرّجل استمراراً آخر في تعقب خيالات ما، بالتّأكيد هي خيالات الطّفولة، ويسجل إصراراً في استعادة ماضٍ بعينه، لا يريد أحمد التّوفيق أن يخونه. يستميت في الرّجوع نحوه والأوبة إليه، فلا يبتعد منه إلا ليبحث عن أي فرصة سانحة كي يعود إليه، وملاقاته سرا على مستوى لعبة الكتابة واللغة والحبك السّردي، في استلهامه المستمر لهذا الماضي، وفي اعتراف مستمر منه بعدم القدرة على أن يتوب نهائيا منه، بأن ينساه نهائيًا، أو أن يضيّعه في تمثّل آخر لتوبة الصّوفي، هذه التّوبة التي وإن كانت عند الآخرين هي إعلان التبرؤ من الذّنب ونسيانه بالمرة، فهي لدى الصّوفي العارف بمولاه هي دوام ذكر الذّنب وعدم نسيانه أصلا، خاصة وأحمد التّوفيق صوفي ومؤرخ في نفس الآن، فما لا فكاك منه إلا إليه، لا فكاك منه إلا إليه مع وجود ذاكرة تاريخية بامتياز يناط بها العودة للحظات البدء الأولى وذوق عرفاني بالأشياء يحرص على الإبقاء على أواصر المحبة بين ما فُقد في أفق اتصال ممكن.

3- التحقيق، الرّواية، والتّأريخ للقرية المغربية:

عبر قائمة أعمال أحمد التّوفيق[15]، والتي ينقلنا فيها ابن قرية إمَرِغْنْ من قرن إلى قرن، ومن موضوع إلى موضوع، ومن كشف إلى آخر، ويُطالعنا عبر كذا قضية من فتح إلى فتح؛ ومن تيمة إلى أخرى، نظن معها، في كذا مرّة، أن أحمد التّوفيق وبالرغم من هذا التّغير والتّحول والانتقال المخاتل إنما يقيم في مكان واحد؛ هو القرية الأطلسية الصّغيرة، ولا يدخل فيه المدينة

[14]. أنظر القائمة في الملحق في آخر القراءة.

[15]. أنظر القائمة في الملحق في آخر القراءة.

إلا لضرورات السّردية، كما هو أمر أي قروي يضطر للنزوح إلى المدينة، ليُقيم ضروباً من الحوار الذي قد يُشبه استحضار الأرواح عند طائفة البراهما، حواراً بينه وبين أكثر من اسم، وحواراً آخر، رغم أنه هو من يقيمه، غير أنه يخاز إلى جنبنا، ليظهر أنه هو الآخر ينصت لأطرافه، مثلنا نحن قراؤه، حوار يُظهر أنه لا هو من يصنعه، حوار بين صوفية قرون أبي يعزى من المجاديب والغرباء ورعايا مملكة الولاية والصلاح والقارئ، إنه حوار مع القرية المغربية ومعالمها وأعلامها، حوار يحفر في موروثنا البدوي ويحفّزنا لاستعادة ما انفرط من عقده.

إن ما يزكي هذا الهيام التّوفيقي والشغف الحارق بالقرية هو أن عمل أحمد التّوفيق في **معلمة المغرب** إذ أن مدار اشتغاله فيها كان هو الرغبة الجموحة في التّعريف بالقبائل البدوية بفرقها وفخذاتها وقراها، فيصير غالب همّه من داخل **المعلمة** هو التّعريف بالبوادي المغربية السحيقة وغير المعروفة، فيُعرّف مثلًا بالقبائل الآتية: إدا وبعقيل (ج 1، ص 221.) ـ إدا وبلال (ج 1، ص 221.)، وإدا وسملال، (ج 1، ص 227.) وإدا ولتيت (ج 1، ص 228)، أمانوز (ج 3، ص 685)، وإدو ونظيف (ج 1، ص 230.) وإدا إبراهيم (ج 1، ص 230.) وإدا ويعيش (الركيبات)، ج 1، ص 230.ـ أيت إسافن، (ج 2، ص 380.)، ويعرّف أيضًا بالتّحالفات القبيلة التي تطبع البادية من مثل إندعرتيت (ج 3، ص 820.) ويخصص مجالا وافيا للفرق من قبيل: وإدا ولحاج (الركيبات)، (ج 1، ص 229.) إدا ولوكان (ج 1، ص 229)، وإمزوغ (ج 3، ص 756.)، كما يخصص مجالا واسعا للقرى من قبيل: أجكال (ج 2، ص 601) وأكشتيم (ج 2، ص 616)، وإماريغن (ج 3، ص 673.)، إمطر (ج 3، ص 800.) وإميني (ج 3، ص 802.)، ويجد نفسه ملزما بالتعريف بأهم مكونات المجال القروي بالتّعريف بالجبال من مثل جبل أدماي (ج 1، ص 284.)، وجبل أزكان (ج 2، ص 346.)، والتّعريف بسفوح الجبال ـ أنامر (ج 3، ص 803)

والتّعريف بالوديان كواد أساكا (ج 2، ص 381.) وأسيف أدودو (ج 2، ص 456.) والتّعريف بأهم أولياء البادية المغربية من مثل: مولاي بوعزة (ج 4، ص 1791.).

في محاوراته لنصوص تُمتُّ بصلة للقرية ومجالها البدوي، وفي إصراره الذي ينجح فيه دومًا على تبيئة سردياته بطابع بدوي، واستحضار البادية وهمومها وتطلعات ساكنتها، وهذا ما تشهد به قائمة أعمال وأرشيف المؤَلِّف والتي يبقى كتاب **التّسلي** آخرها، ويبقى تتويجًا لهذه العلاقة وشاهدًا عليها، فالقرية/ البادية تُرافق الرّجل في ترحاله، ويلتزم هو بأن يُبقي على صداقته وعلاقته القديمة بها، علاقة راسخة، تظل في مأمن من أي بتر أو خيانة أو طعن، مهما كان البُعد، ومهما كان استيلاب المدينة، ومهما كانت مشاغل الوزارة، ومهما كانت تكاليف الحضور العلمي والأكاديمي وضغط مواعيد مواعدة القراء والجماعة العلمية، حيث يُصرّ أحمد التّوفيق دوما بأن يخرج عبر كتبه من عوالم لها علاقة بالقرية بانتظاراتها وتيماتها الكبرى وقضاياها العادية والبسيطة حد السّذاجة والبراءة. ومعاودة استلهام مواضيعها الأهم سواء مع أبطال الأعمال المحققة أو مع أبطال الأعمال التّخييلية، وكل ذلك عبر حقب مختلفة، لكن وبنفس الدّواعي؛ وهي استعادة نُوستالجيا تهمّ سيكولوجيا المحقق أحمد التّوفيق من جهة، وتهم التّاريخ المغربي من جميع الجهات.

أشياء كثيرة تظهر منزلة القرية في أعمال أحمد التّوفيق، إذ كما زوّد كُتبه السّابقة بخرائط أعيد فيها شيء من الاعتبار للقرية البسيطة التي همّشتها أستغرافيا التّواريخ الرّسمية، لا ينسى أحمد التّوفيق أن يزوّد عن **التّسلي** بكذا قرية في تغليب مثير لمواقع القرى على حساب المدن، لطبيعة الكتاب الذي يظل حديث قروي عن محيطه القروي، فالخرائط التي لا تعتني إلا بالأهم، ما دام مجالها الورقي لا يسمح بترسيم كل شيء، يكيّف أحمد التّوفيق كل شيء ليذكر كل شيء،

بما فيها القرى البسيطة التي يؤبه بها، وهو الشّيء الذي يؤثّث به عمله الرّوائي عن والده **والدٌ وما ولدَ** حيث زوّده بخريطة يبرز فيها قرى ودواوير بسيطة ستكون فيها إمَرِغْنْ قرية «سي محمد أبورحيم» (ت 1967) والد أحمد التّوفيق مُواجِهة لعاصمة الموحدين مراكش. إلى هنا، لا بد من التّنبيه إلى أن الخرائط التي وضعها المحقق، والهوامش التي لا تكاد تخلو منها صفحة من هذا العمل والتي تخص الأماكن والأعلام والأحداث والعادات لتؤكد ما كان نبّه له محمد مفتاح وهو بصدد التّعليق على منجز أحمد التّوفيق التّحقيق من أن هذا يؤكد على مسألة مهمة هي مدى تحكم المحقق في وسائل الخدمة، وما يتطلبه ذلك من مؤهلات علمية صارت تبتعد شيئًا فشيئا عن قدرات الشّخص الواحد، إذ يحتاج المحقق إلى معرفة التّاريخ والجغرافية والأنثروبولوجية واللسانيات وغيرها[16].

تقف قرية أحمد التّوفيق شامخة في الخريطة، النّدّ للند، في مواجهة بين قرية السّفح وعاصمة السهل، وبجانب القرية تحضر بقية القرى المؤثثة لجوانب وجغرافيا عَالَم الوالد وولده في رواية هي في الحقيقة ليست رواية عن الوالد وحده، بل رواية عن القرية على طول 273 صفحة، وليتوقف عند دخول الابن إلى مدينة مراكش في جزء **طفولة في سفح الظّل**، مراكش المدينة التي فلحت في استضافة الغرباء وإكرام نُزلهم، أوليس رجالاتها السّبع كلهم يشتركون في الانتماء إلى مجالات غير مراكش؟ أوليس الذي بناها إلا غريب من أقصى الجنوب؟ ثم أوليس كبير رجالاتها السّبع غريبٌ أتى من أقصى الشّمال؟.

إن أحمد التّوفيق يحاول قدر ما يسعفه العمل إنقاذ ذاكرة القرية في أغلب أعماله، كما حاول بكل ما أسعفته العبارة أن ينقذ ذكرى إمَرِغْنْ بأن يستعيد ما خرب من ذكرياتها

[16]. محمد مفتاح، **ما وراء تحقيق النّصوص**، ص.131..

ومعالمها، وما تهدم، وما تشوه من مظاهر معيشها اليومي القروي لصالح استبداد مظاهر العيش المديني الذي اخترق قريته بالشّكل الذي يحكم عليه التّوفيق بأنه طمس حقيقتها الأولى[17]. هذا الوله التّوفيقي بالقرية، إلى درجة أن تبقى أعماله في أغلبها قرابين لشغفه وولهه بعوالم قريته البسيطة والصّغيرة في سفح الأطلس، وقد يجد هذا الشّغف له أسبابًا كثيرة قد يكون الأصل فيها هو مرحلة الطّفولة التي عاشاها مع والده «سي محمد أبو رحيم»، بما يمثله الأخير من قيم ومشاعر بقيت راسخة في دواخل أحمد التّوفيق، وربما لما تمثله القرية من قيم صوفية ومن أحوال تشبه أحوال العباد الزهاد، فحال القرية في بساطتها وتزهدها يشبه حال أي صوفي زاهد يعيش لا تملكه الدّنيا ولا يملكها، صوفي يتدثّر بالبساطة والقلّة، في حين تمثل المدينة حال الشّغوفين بالدّنيا الرّجيمة والزّائلة بأسواقها وحركيتها الصّاخبة لتختصر سيرة المتهارشين على ما يتلاشى ويزول، في حين أن سكينة القرية ودماثة خُلق أهلها تختصر سلوك أهل الله.

إن كتاب **التّسلي** ليس نصّا كتب عن سيرة ذات، وليست قراءته هي قراءة لهذه الذات فقط، والبحث فيه بحث عن لواعج واهتمامات هذه الذات، إنما هو كذلك نصّ عن سيرة وسَيْر مجال عام، وبحث دقيق في كَمّ هائل من الدّواوير مجال سفر وعَوْدِ الذّات مؤلفة نصّ **التّسلي**، تختصر هذا الكم، بشكل مرعب ودقيق، فهارس الأمكنة التي يزخر بها نصّ **التّسلي** كما تنوء بهذه الأمكنة فهارس أطروحة أحمد التّوفيق حول قبيلة إنولتان، ليظل الدوار والقرية والكتابة عنها في أعماله الرّوائية وبطريقة ملفتة مع تحقيقاته التي تحضر فيها البداوة والبادية بشكل يبز حضور المدينة شيئا عاديًا، بشكل قد يجعل كتابات أحمد التّوفيق تدور كلها في فلك واحد

[17]. يبُثُّ أحمد التّوفيق شكواه من المصير الذي شتّت لُحمة القرية، وفكّك علاقة أهلها بطابعها القديم في الفصل الأخير من "**والد وما ولد: طفولة في سفح الظّل**» الذي عنونه ب **مآل فضاء الذّكريات** (ص.275)، والذي يفيض بعبارات التّحسّر على ما كان وانقضى والتّنذُّر أمام ما صار ونمى.

هو العمل على جمع مناقب القرية والتّعريف بها، تماما كما الشّيء الذي قام به ابن الزيات مع مناقب عُبّاد وزُهّاد الجنوب المغربي، وما قام به العزفي من جمع لمناقب أبي يعزى هذا الولي الضارب في جذور البداوة، والشّيء الذي قام به محمد بن عبد الله الكيكي في كتاب **مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السّائبة والجبال** في جمعه لنوازل قرى البلاد السّائبة.

4- عن التّاريخ البسيط والحكاية البسطاء:

في رحلة تشبه رحلة «ذو الوزارتين» الذي صعد جبال المصامدة متشوقًا الوقوف قريبًا من مهد الدّولة المُوَحديّة، وقريبًا من المجد الذي عاشته قبيلة «هنتانة» مع بني عبد المومن، ليمر، لربما، على مكان قرية المحقق، ولربما القرى التي مرّ منها الغجدامي، فوصف حياة النّاس من عامة وخاصة في كتاب سماه «**نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**»[18]، والذي دونه صاحبه في أربعة أسفار جليلة كما يصفها[19]، رحلة الغجدامي التي في الحقيقة مجموع رحلات لا يكاد يستقر فيها الغجدامي على وطن، إلا ليأخذ طريقًا جديدًا، ويسلك منعرجا آخر، هي أيضًا رحلة ينفض فيها الغجدامي جرابه الغني بالأحداث البسيطة والوقائع التي تجاريها في البساطة عن حكايا البسطاء من النّاس إلى درجة يصير مع كتاب **التّسلي** مجرد بورتريهات لذيذة عن مجريات حياة ليست بالعادية للإنسان المغربي العادي جدّا في زمن غير عادي بالمرّة. وضمن انسيابية هذه البساطة يطرح الغجدامي في نصّه جزءا مهما من الأسئلة التي تطرحها القرية المغربية ويواجهنا بالرّهانات التي تضيق بها القرية المغربية في هذا الزمن ويعطي أجوبة مبطنة عنها، وهو في كل

[18].لسان الدّين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، فصل في ذكر جبل هنتاتة، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، راجعه: عبد العزيز الأهواني، دار النّشر المغربية، الدار البيضاء، ص.43.

[19].لسان الدين ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، ص.5.

ذلك سارد لا يدعي امتلاك البطولة، فيما يأتي أمامه من أحداث، لذا يحكي في عفوية كاملة وحياد تام، ضمن منطق سرد الإنسان العادي عن حياة الانسان العادي.

رحلة الغجدامي الذي زاده حب **القرآن** وشغف إتقانه للقراءات المشهورة، رغم أنه كان ألثغ اللّسان على سيرة المعتزلي واصل بن عطاء مع لسانه، ما زاداه إلا تشوّقا إلى أمكنة أخرى ودواوير أخَر، في رحلة بحث لا عن الكلأ وإنما عن مشايخ العلم الذي انتهت إليهم القراءات في سفوح الأطلس وفي سهول قبيلة زمران والسراغنة وأيت عتاب وهنتيفة، رحلة هي في الحقيقة مجموعة مكثفة من الرحلات يخترقها السّفر المتكرر من كل ناحية وصوب، ويرجح كفّتها عدم الاستقرار في مكان واحد، مكانٍ ما إن تحضره فيه الرّغبة في الاستقرار، إلا لتحذوه وتستبد به رغبة هوجاء وحاجة أخرى في مجاوزته والابتعاد بعيدًا عنه، فيكون النّأْي عن البلد، والاغتراب عنه تيمة كتاب **التّسلي** الأساس، ليخرج علينا المؤَلّف في شكل مذكرات يومية تَرْشح بما تصمت عنه البحوث الأكاديمية في حق المنطقة وفي حق حياة البسطاء من أهلها.

في رحلة الغجدامي الذي تتقاسمه السّذاجة ولا تخونه الدّقة نسجّل توقفه عند أهم الأحداث وعند أهم الأسماء واللّحظات والحساسيات الفاعلة في هذا المجال القريب جدا من مراكش، والبعيد جدا عن قبضة التّاريخ الرّسمي والكولونيالي، لكن نسجل أيضا أن قدرته السّردية لا تخونه في التّوقف المتكرر وبكثير من الغرابة أمام مسائل مفرطة البساطة تضطره لذكرها عفوية الرّجل، وقدرته الخارقة على البوح والإفضاء بأسرار حياته والتذكير بدقائقها البسيطة بل والمملة، ساهم في هذا أن الأمر يتعلق بمذكرات أو مجرد يوميات فقط، قد لا يكون فكّر أصلا بنشرها. وكذا نسجل التّوقف عند كذا قرية بالكاد تتكون من أسرة صغيرة ومعدودة، والإتيان على وصف المعيش اليومي لأهلها عرضًا.

كما هي القرية تظل لدى أي مؤرخ عادي هي العرض والهامش فقط، في حين تظل المدينة لديه جوهراً ومتناً، يقلب الغجدامي الذي لا يحسب كمؤرخ معادلة المؤرخ العادي، فيصير بالنسبة لنا مؤرخًا غير عادي بالمرة، فبساطته التي تقول الكثير وتختصر علينا كل شيء، بما في ذلك الجهد الكبير الذي يمكن أن يقسم ظهر المهتم والمؤرخ غير العادي في محاولة فهمه للسّياقات التي ساقها الماضي نحو المجهول، والإحاطة بزمن وحقبة من تاريخ الهامش والمهمشين والبسطاء، من هنا يأتي اختيار أحمد التّوفيق لنصّ **التّسلي**، باعتباره نصّا غير عادي لمؤرخ ليس بمؤرخ غير أنه يفتح أكثر من كوّة للمؤرخ حين كتابته للتاريخ غير العادي.

بغض النّظر على كونه نصّا مفعمًا بالتّواريخ المهمة والأحداث الخطرة، وبغض النّظر عن كونه يهم جزءًا من تاريخ دمنات، هذه المدينة التي يقال أن موسى بن نصير هو من بناها عند قدم جبل الأطلس، فها النصّ يبقى حَظِيا لدى أحمد التّوفيق أيضًا، لأنه نصّ مفعم بالشّذرات المهمة التي تُحاكي حياة النّاس في زمن تلاشى وانفلتت منا وقائعه، مفعم بقِطعٍ تحكي عن أهم وقائع حيواتهم المرتبطة بمدينتهم الصّغيرة دمنات، وتقصُّ لنا مشاغل أهالٍ مفرطو البساطة يحيطون بهذه المدينة من دواوير وقرى غير معروفة **بالمرة، ولم تحظ بأي اهتمام** عند أي مؤرخ لربما، قرى ودواوير لا يمكن لأي كان أن يحدد مكانها في الخريطة، غير أنها وجدت لها مكانًا في الخرائط التي زوّد بها التّوفيق كتاب **التّسلي**، الكتاب هذا الذي يبقى في صيغة سيرة بسيطة لشخص ربما قد يتفوق عليها في بساطته، غير أنه لدى أحمد التّوفيق يبقى مفرط الخطورة، فالسِّيَر الذّاتية للأشخاص المتميزين كما تهم، بقدر خطورة وقائعها، أو عمومية تلك الوقائع، فإنها لشخص عادي قد لا تهم إلا من حيث هي عادية[20]، فالعادي هو حقيقة السير اليومي للحياة وهو حقيقة التّاريخ بما أن الغالبية هي للناس العاديين والبسطاء في حين يبقى غير العاديين منهم الذين يحظون

[20]. أحمد التّوفيق، **والدٌ وما ولدَ: الطّريق إلى المدينة**، الدار البيضاء؛ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2014، ص.7.

بالتّأريخ الرسمي هم القلّة القليلة التي يشكل إسقاط حيواتهم على التّاريخ مسخًا وخيانة له وكذبًا لا يمكن تصديقه في آخر المطاف.

إن قلّة الاكتراث بما هو عادي، بحسب أحمد التّوفيق دومًا، فوت وعلينا وغيب عنا الكشف عن أصالة العادي المحتجبة، فتعبير «الحياة العادية» لا يخلو من إشكال، ما دامت تستوقفنا كل حكاية حياة، وإن كانت تشبه حياة الغالبية العظمى من البشر، بمشاعرهم وعواطفهم ونوازعهم وتخبُّطهم في دروب الحياة ومنعرجاتها، إذ إن سردها قد يكون مثيرًا للفرجة، بل وحتى للتأمل، حتى وإن بدا سخيفا أو مبتذلا في بعض الأحيان. وقد يرجع ذلك لكون صاحبها الكاشف لها، يسمح ويرضى بتعرية بعض حال نفسه، معرضًا إياها عن طواعية لشيء مما جبل عليه النّاس من حب الفضول والميل إلى الفرجة، بل وحتى الشّماتة والاغتياب»[21]. لنكون مع توجه أحمد التّوفيق لتحقيق نصّ **التّسلي** إنما هو احتفاء منه بالناس العاديين وبالحياة العادية التي يمثلها في جانب الصّوفية الذين يظهر أحمد التّوفيق دوما إعجابه بهم، وتمثلها حياة القرية التي يحنّ إليها ابن إمَرِغْنْ السّاكن عاصمة البلاد.

بساطة نصّ الغجدامي وحكيه القوي عن المواقف البسيطة في حياة النّاس البُسطاء، لا تنفي أنه مع ذلك يبقى نصّ حَكْيٍّ وسرد لأحداث كبيرة، وإن أتى الأمر في غير ما مرة بشكل عرضي فقط، أحداث تهمُّ تاريخ الدّولة المغربية، وتهمُّ مسار استقرار البلاد وحال العباد، فبهذا النّص تكتمل بانورامية الأحداث وصورتها العامة تأخذ ألوانها الحقيقية، بتداخل الحدث البسيط الذي لا نأبه به مع الحدث الكبير الذي يلتفت له الغادي والبادي جفافًا كان أو موت سلطان أو سَيبة قبائل. كما وأن بساطة نصّ الغجدامي لا تدل لا سذاجة النّص وسذاجة

[21]. نفسه: ص.7.

كاتبه وهذا ما يفهمه جيّدًا يحذّر منه أحمد التّوفيق بالنّسبة لمن يهم بقراءة نصوص على هذه الشاكلة كما هو الحال مع **التّشوف** مثلًا، بأن يضع القارئ الغِرُّ في باله مكانة صاحب **التّشوف** العلمية حتى لا يحسبه القارئ، وهو دالف بين أخبار الكرامات، ساذجًا بسيطًا عامي الفكر ممن تستخفّه طلاوة الأخبار أو تنسيه غرابتها صرامة التّحقيق[22] وهو الشّيء الذي ينطبق على نص **التّسلي** وصاحبه الغجدامي الذي ينتسب إلى «فقهاء الشّرط» أو «الطُّلبة» (بضم الطاء وتشديدها) وهم أناس بدويون يتميزون ببساطتهم وبساطة أدوارهم المتعلقة بفتاوي بسيطة تتعلق بأحكام النّفاس وقد تتطور لتتعلق بالسّواقي وحلّ معضلة استغلال أراض الجموع والشّياع، في مقابل التّعقيد الذي يلُفُّ دور العالم والفقيه المديني الذي يتدخل في عقد البيعة السّلطانية وقد يتجاوز دوره هذا إلى حلّها. غير أن الفقيه الغجدامي سرعان ما يتخلى عن دور البساطة الذي يؤهله إليها كفقيه شرط حين اشتغاله ما بين إمامة مسجد في قرية أو في دمنات أو تعليم صبيان[23]، إلى تولي أدوار أكثر تعقيدًا، حينما يتولى منصب القضاء واستقرار منزلته مقرّبًا من الباشا الگلاوي وقبله من أخيه المدني، إذ لازم الباشا لعشر سنوات، لم يرُدّ عليه فيها كتابًا، ولا ناقشه في شيء قط[24]، مقرّبا من كثير من علماء المغرب مثل أبي شعيب الدكالي[25] والشيخ عبد الكبير الكتاني.

[22]. **التّشوف**، ص.12.

[23]. **التّسلي**، ص.265.

[24]. **التّسلي**، ص.169.

[25]. **التّسلي**، ص.102. 103. 104. 105.

5- نصّ التسلي وسيرة «الطّالب»/ فقيه الشّرط:

اهتمام أحمد التّوفيق بالـ«طُّلبة» أو بالأحرى بـ«الفقهاء التّقليديين» المعروفين لفقهاء الشّرط هو اهتمام قديم، فإخراجه لعمل الفقيه الكيكي الموسوم بـ **مواهب ذي الجلال** هو بالتّأكيد يدخل ضمن هذا السّياق، إذ أنه عمل يكشف عن حالة ملأ الفراغ التي تركها النّظام السّلطاني في جبال الأطلس الأوسط والكبير وفي كثير من المناطق النّائية في المغرب والتي تولاها الفقيه التقليدي المعروف بـ«الطّالب»، هؤلاء «الطُّلبة» الملمين، بحسب أحمد التّوفيق «بالقواعد والمتمرسين بكتب الشّهادات (الـ) حاضرون في جميع الأوساط على وجه التّقريب» .. والذين يُحاورهم ويرد عليهم الكيكي في **مواهب ذي الجلال**، إذ أن الكيكي يبقى، واحدًا من هؤلاء «الطّلبة/ فقهاء الشّرط» الذين تولوا مهام بالغة الأهمية في التسيير وتنظيم حال السّيبة ومحاولة الرّجوع بالأمور لجادة الصّواب، وهذا الأمر هو ما تولاه محمد الغجدامي في لحظات معينة من حياة الدّواوير التي كأن يؤم بها النّاس وهو في حالة «الشرّط»، بل وحتى حينما صار يقضي في مشاكل النّاس في تازارت (قاعدة الباشا الگلاوي الخلفية)، وفي مراكش أيضًا.

ففي **مواهب ذي الجلال** وكذا في نصّ **التّسلي** يظهر «الطّالب» باعتباره وجهًا من طبقة بعينها هي طبقة النّخبة القادرة على تولي منصب أو دور المسؤولية في إدارة الأمور أو في الدّعوة لإصلاحها إلى جانب الأعيان والباشوات. حيث يتحول «الطُّلبة» إلى جماعة مهنية تحوز سلطة ومشروعية فائقة، تجعلانها تتمتع بنفوذ وكاريزما قادرة على أداء أكثر من دور وبحنكة ومهنية مثيرة، يمتزج فيها معرفتها الذكية بالأعراف واستغلالها لما هو روحي وتشريعي لحيازة دور المؤسسات غير الموجودة أو المستقيلة عن دورها وبالتالي تدخلها المشروع في تنظيم الجماعة التي

يتجاور فيها الشّرع إلى جانب العرف، أي حياة فقيه الشرط لدور حكومة تصريف الأعمال أو لدور سفراء قائمين بالأعمال وذلك دونما أوراق اعتماد من الجهات الرّسمية في المركز المنكفئة على حل تعقيدات المدينة/ المركز.

إن أحمد التّوفيق بتحقيقَيْه هذين إنما ينتشل هاذين الفقيهين من المَنسِيّ ويعيد الاعتبار لدور الفقيه التّقليدي بشكل يثير الاهتمام حول الأدوار التي تولّاها في ظروف ظلت غير مثيرة للانتباه، ما دام مجالها هو القرية أو الجبل أو الهوامش بعيدًا عن المراكز المهمة التي تُشكلها الحواضر والعواصم. وكأن أحمد التّوفيق تحذوه رغبة في بعْثِ دورهم من جديد وربط ماضٍ مجيد ومحوري لفقيه الشّرط بواقع تستحث فيه الخطو والخطط وزارة يوجد على رأسها محقق الكتابين (**مواهب ذي الجلال والتّسلي**.) لإصلاح هذا الدّور وتوجهيه بشكل يستعيد فيه الطّالب/ فقيه الشّرط أدواره القديمة التي بزّتها وسلبتها إياه ظروف ما، وحركات ما، ومؤسسات ما، وهيئات ما، في محاولة من الوزير المحقق والوزارة لتحقيق هذه الصلة بين زمنين ولإذكاء فاعلية فقيه الشّرط الاجتماعية وشحذها من جديد واستثمارها دينيا في مواجهة التّشدد المشرئب برأسه من كذا قناة وكذا طريق وفي ضمانه لوحدة البلاد المذهبية التي تشربها فقيه الشرط من متن ابن عاشر الذي كان أول محفوظات الغجدامي بعد كتاب الله في مسجد سيدي بوناقة الذي ينعته الغجدامي بـ «المسجد المبارك».

قد يتدخل في اختيار أحمد التوفيق لنصّ **التّسلي** هو أيضًا كونه نصًّا يحكي عن مسيرة وحياة صِنف من طلبة القرآن كانت تزخر وتضج بهم قرى وبوادي المغرب، طلبة/ «المسافرية» لم تنهاهم صنوف العذابات اليومية في مغرب ما قبل الحماية، للإقبال على مدارس العلم والبحث المضني عن حِلَق الفقهاء والقرّاء، يخترقون في سبيل ذلك القفار ويقطعون المسافات الطويلة

على أرجلهم، سالكين كل المسالك الوعرة المؤثّثة بالعقبات واللّصوص والشّطار والمكاره، في رحلات مأزومة ومحاطة من كل جانب بشظف العيش والمعاناة، وبحياة يرتهنها اقتصاد النّذرة والقلّة والعدم، يصاحبهم في سفرهم الجوع المقيت يدًا في يد، ومع فراغ البطن وضيق ذات اليد كانت انفراجات بسيطة ولحظات إيواء جميل وكريم، تهوّن على طالب القرآن غربته وعذاباته في سبيل حفظ الكتاب حيث يهون كل شيء، إذ أن الغجدامي مثلًا يضطر لبيع بقرته التي تحصّلها من شرطه بمسجد أناكَا[26]، لا لشيء سوى لأنها شغلته عن التّعلّم.

كل تلك الأسفار المكللة بالمعاناة غير الخالية من اللحظات الجميلة في مسارات غير معروفة تشبه التّيه إن لم تكن هي التّيه نفسه، لولا أن لهم هدف وغاية محددين يستنهضانهم ويوجهانهم. لأجل أن يحظوا رغم كل العوز الذي يصوّره بشكل خطير وجميل صاحب **التّسلي** ورغم تلك المصاعب التي كان الغجدامي أحد ضحاياها، ليحظوا بفضل حفظ كتاب الله، وبفضيلة التّعلُّم في مساجد القرى والمدارس العتيقة في المداشر السحيقة والبعيدة، وكذا ليحضوا بسعادة أسطورية عند متم الحفظ تشمل أهاليهم بل وقُراهم، هذه القرى التي انتهت إليها رئاسة القراءات القرآنية كما هي الدّواوير التي واضب «الطّالب» الغجدامي على زيارتها لنّهل من فقهائها، في حرص نَهِمٍ وطُفولي من هؤلاء «الطُّلبة» على تملُّك القرآن وحفظه، وهو الشّيء الذي يتبرم محقق نصّ **التّسلي** من ضياعه وانفراط عقد النّاس به، وهو في معرض إحصاء ما ضاع وانفرط من عهد قريته الأول، لصالح المدرسة الحديثة أو «**الشّكويله**» بتعبير إمام قرية أحمد التّوفيق[27].

مسيرة محمد الغجدامي طالب القرآن والعلم الشّرعي تظل في الأخير لا سيرة لهذا الطّالب وحده، أي سيرة فرد دون غيره، سيرة لا تتكرر، وإنما هي سيرة جماعة شرَطت الشّرط الثّقافي

[26]. **التّسلي**، ص.42.

[27]. **والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل**، ص.270. 275.

في المغرب، وهي جماعة طلبة القرآن الذين سيصيرون «طلبة الشّرط»، بما هو الطّالب ذاك النّازح من قرى المغرب بحثًا عن حافظ خبير وقارئ مجيد للقرآن، يُحفّظه كتاب الله ويُدارسه قراءاته، بشكل يجعل من قارئ **التّسلي** خاصة من صنف طلبة القرآن، يقول تمامًا كما على لسان قارئ **والدٌ وما ولدَ**: «هذا أنا»[28]، و«هذه سيرتي»، وما ذلك إلا «بسبب الصّدق والاجتهاد في التّذكر والسّرد، والصّدق يمنح الأمور قيمتها، وإن كانت صغيرة تافهة بين شؤون هذا العالم (...) فإن الكاتب يحكي عن نفسه كما لو كان الأمر يتعلق بغائب قبل الأجل»[29]. فسيرة الغجدامي الطّالب هي سيرة منبثقة من هوية جماعية لحياة المغاربة مؤرّقة بأسئلة وقلق هذه الفئة ومعها الأسر المغربية في شقها البدوي التي كانت الجزء الخلفي لتحمل معاناة السّفر لأجل تعلم كتاب وشرع الله، إذ لكل طالب قرآن أسرة يقلقها تأخره، وتستبد بها الرغبة في معرفة محطات سفره.

أحمد التّوفيق إلى جانب كونه مُستلبا بحب البادية ومتشبعًا بتفاصيل حياتها، وهو ما يظهر في رواياته وتحقيقاته، فتحقيق هذا النّص هو تحقُّقٌ من حيوية وفاعلية هؤلاء «الطَّلبة» في حياة القرية، وإلى جانب هذا فهو نفسه كان طَالِبًا من طلبة القرآن، حاق به ما حاق بهم من غضب الفقيه وناله ما نالهم من سروره وفرحه باجتهادهم، وإن لم يغادر قريته لأجل الحفظ كما كثير منهم، عاش ما عاشوا، وكانوا رفقاءه الأوائل وجماعة اللّعب - بتعبير جون بياجي - الأولى، وابن فقيه الشرط كان صديقه، ليكون طَلَبُ القرآن من صميم مهام طفولة أحمد التّوفيق، لينال به رضا مُنزل الكتاب أولًا، ورضا الوالد «سي بورحيم» ثانيًا.

[28]. **والدٌ وما ولدَ**، الطّريق إلى المدينة، ص.8.

[29]. **والدٌ وما ولدَ**، الطّريق إلى المدينة، ص. 8.

والطّالْب كان هو معلم طفولة التّوفيق، والذي لا يمكن نسيانه، خاصة مع كاريزماه التي يصنعها علمه، وتصطنعها الأهالي من حوله، حيث تتأسس العلاقة على تعاقد يشبه التّعاقد الذي تحدث عنه فلاسفة الأنوار بين الحاكم وجماعة المحكومين مع تحفظات قليلة، لا تفسد الفكرة ولا تُخسّسها. فالتّعاقد الذي يسمى بـ«الشّرط» مع «الطّالْب» هو حدث خطير يتردد صداه بين القبائل والقرى المحيطة لقرية الولد أحمد التّوفيق، لهذا فقد كان ترشيح الطّالْب/ معلم القرآن، ليس بالأمر السّهل في قرية التّوفيق أو في أي قرية مغربية، إنه أمر يحتاج إلى وساطات كبيرة من أعلى الهيئات الدّينية، فإمامة مسجد قرية الولَد احتاج إلى وساطة أعيان الزّاوية النّظيفية بمراكش، وساطة لكفاءة فقيه له دُربة وخبرة بالقراءات، دلّ عليها حفظ ابنه، ابن السّت سنوات للقرآن، وإلمامه مع هذا بقراءات نافع برواية ورش عن الأزرق، إلى جانب إقبال الطّلبة الآفاقيين عليه من الوافدين من مختلف القرى يودون كلهم تحصيل علم القراءات، بعد الحفظ التّام للقرآن[30].

لقد حظي الطّالب/ معلم القرآن بالمكان الرّفيع لدى أُسر دوار أحمد التّوفيق، احتراما وتبجيلا منهم لكتاب الله، وأيضا ليحظى أبناؤهم بالاهتمام اللازم في التّعلُّم، كما هو حال «سي بورحيم» والد المحقق مع «طالب الجامع» الذي سيدرِّس «سي أحمد/ الولد»[31]. إلى جانب ذلك فإن قرية الولد «سي أحمد» كانت محطة استقرار للطلبة المسافرين «إمسفرين»/ «المُسافرية»، القادمين من مختلف البقاع والقبائل والقرى الأطلسية، رغبة في حفظ القرآن أو الإلمام بعدّة قراءات له، ليشكلوا فئة خاصة/ طبقة من داخل القرية تتساكن في محلات خاصة، طبقة لها دَورها الخاص الذي تتولى دُور القرية توفير الجو الخاص لها في طلب القرآن

[30]. والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل، ص.73.

[31]. والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل، ص.73. 74.

والعلم الشّرعي، في تعبير صارخ عن خدمة القرية المغربية للعلم الشّرعي وعنايتها البالغة به. طلبة بلغ عددهم في قرية التّوفيق أزيد من أربعين طالبًا، منهم من سِنّه قارب الأربعين ومنهم أقل من العشرين، يساكنون أهل القرية التي يتحمّل أخلاقيًا أهلها مؤونتهم (تارتبيت).

6- المشترك الصّوفي بين المحقق والمؤلف:

كما يبحث أحمد التّوفيق في التّاريخ عن معالم الضّمير الجمعي للمغاربة ويعيد صياغة إحداثيات نسق هويتهم التي التأموا حولها منذ زمن بعيد بأن يعيد الكشف عنها، يبحث على صعيد الوزارة وعبر منظور تؤكده دروسه الحسنية التي تشبه خرائط طريق وعمل عن إعادة جمع جماعة المغاربة حول توابث هذه الهوية التي لا يمكن إلا لمؤرخ من طينة أحمد التّوفيق أن يتعرف عليها ويتلمس جذورها الضاربة في القرية والمدينة المغربية وساهم «طلبة» القرآن وفقيه الشرط في توطيد أركانها، فيحدد التوفيق عبر أعماله معالم هذه الهوية ويلامس بؤرتها الحقيقية، من هنا يضعنا نصّ **التّسلي** أمام جانب وركن عتيد من تدين الإنسان المغربي الذي يمثله نموذج محمد الغجدامي في حبه للقرآن وفي حبه للصالحين وفي اتخاذه للشيخ المربي، وفي إيقانه بجدوى الطريق والحاحية الدّخول فيه.

يتقاطع المحقق مع المؤلف بهوسهما وهواهما الصّوفي، فأحمد التّوفيق عرف التّصوف مبكرًا فنجده طفلا يتشرب التّصوف مبكرا خاصة في لقائه مع البردة التي أصابته بزلال روحي، استنهض همته إلى لقاء نوراني بالغيب[32]، ساعده في ذلك والده التيجاني، وقريته التي كانت منتمية وملتزمة صوفيًا، فمرة تيجانية، وقَبلها ناصرية، يؤدي أهلها طقوس الطّريقة ويأخذون

[32]. والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل، ص.217.

وردها أب عن جد، فكان للطرق لديهم مكانة، وكان لمشايخها عندهم مكان خاص؛ كانت لهم زاوية قرب مسجد القرية، وللزاوية عندهم نصيب معلوم من المحاصيل، بل ونصيب حتى للطرق التي لم يعودوا يأخذون بأورادها، بل وإن علاقة أحمد التّوفيق بالتّصوف هي علاقة لا دخل له فيها، ولا يد لأحمد التّوفيق البوتشيشي طريقةً فيها، ولا لأحمد التّوفيق الأكاديمي محقق **دعامة اليقين والتّشوف** فيها أيضًا، إنها علاقة أكثر عتاقة وضربًا في جذور التّاريخ منه، بل تمتد إلى زمن الحسن الأول، ما دامت محكومة بعلاقة أقدم هي علاقة جد «الولد سي أحمد» بالمتصوفة، خاصة بالأسرة النّظيفية التي نشرت التّيجانية بين أهل قرية إمرغن، حيث منع أحد مشايخ الأسرة النّظيفية أحد المتسلطين من وضع القيد في رجل الجد[33]، لترتبط عند أحمد التّوفيق صورة جميلة للصوفي نصير المساكين والقريب منهم، وكنوع من البرور الأخلاقي من الموقف تجاه الجد، وكرد جميل يطوق كاهل الأسرة بأكملها بقي أحمد التوفيق يحمل للصوفية كل التّوفير، ويقدم خدماته الأكاديمية نحو نصوصهم المؤَسِّسة، ويكتب عن صُلّاحهم وينافح عنهم.

بسبب الموقف الأخلاقي والرجولي للشيخ النّظيفي تجاه جد أحمد التوفيق ظل الأخير يحمل للصوفية الاحترام والتّوقير الذين لا يُشركهما فيهما من أحد، شبيها في هذا بوالده «سي بورحيم» الذي وإن كانت به عزّة وأنفة، فإنه ينحني على أخ الشّيخ الوظيفي ليقبّل كتفه، وهذا ما لم يفعله مع أحد قط إلا مع أعمامه[34]. ليجد أحمد التوفيق الصّوفية تنتظره لترتهن مستقبله وترهنه هو في زواياها، فكما قد يُولد الولد وفي فمه ملعقة من ذَهب، يُولد الولد أيضًا وبين أصابعه سُبحة من خشب، ولهذا كانت كُتب سيدي احمد التّيجاني، وكتب تابعه الشّيخ النّظيفي

[33]. **والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل**، ص. 75.

[34]. **نفسه**، ص.75.

المطبوعة بمصر على الورق الأصفر، من الكتب التي فتح عليها الولد (أحمد التّوفيق) عينيه ولمسها بيديه حتى قبل تعلمه القراءة[35]، لتكون جانب دعوات مشايخ التّيجانية من الأسرة النّظيفية للولد بصلاح الحال، ولتكون علاقة الجد سابقة على علاقة الوالد والولد بالتصوف ولتصير محكومة بها، بشكل يذكرنا بدعوة أبي يعزى لسلطان الموحدين عبد المومن ليخرج من صلبه من يؤمن بطريق الولاية والصّلاح ويبرّ بأهلها فكان المنصور تلميذ أبي العباس وأحد أكبر مريديه.

ما يشد الانتباه أن الأعمال التّحقيقية التي قام بها أحمد التّوفيق والتي هي إما كتب صوفية أو فقهية أو تاريخية، رغم أنها قد تكون متباعدة الانتماء، غير أن أصحابها كلهم كانوا يعلنون الانتماء إلى طريق التّصوف، فابن الزيات إلى جانب كونه معجباً ومنبهراً بأخبار التّصوف وغرائب صوفية عصره، فإنه كان يعلن ولاءه لمدرسة أبي العباس السّبتي، أما محمد بن عبد الله الكيكي صاحب كتاب **مواهب ذي الجلال** فقد كان يعلن ولاءه للطريقة النّاصرية كأحد أتباعها والباثين لدعوتها الملتزمين بأورادها والمعجبين بعلمائها[36]، أما محمد الغجدامي فقد كان كتاني الطّريقة مقرّبًا من شيخ الكتانية في زمنه عبد الكبير الكتاني، أما والعزفي المحب لأبي يعزي والرّافع عقيرته بالدفاع عنه وعن طريقته فقد كان صاحب هوى صوفي.

تحضر الكرامة الصّوفية وتحضر الخوارق في نصّ **التّسلي**، بشكل متكرر لكن دون أن يكون طاغ وغني، خاصة في مجتمع مأزوم يرى الحل في وفود ولي أو قطب وينتظر الفتح على يد أشباه الأنبياء فقط، فمنذ تحقيق كتاب **التّشوف في أخبار التّصوف** لابن الزيات التّادلي، ودعامة **اليقين** للعزفي والكرامة الصّوفية والتصوف يستبدان بأحمد التّوفيق، ليكون أحد أسباب

[35]. **والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل**، ص.76.

[36]. تقديم أحمد التّوفيق، **مواهب ذي الجلال**، ص.ص.7. 10. 11.

تحقيقه لكتاب الغجدامي هو تصوف الغجدامي وانتماؤه للطريقة، نعم، دلّ عليه إعلانه المتكرر لاحتضان الطريقة الكتانية له، وسطوة جانب الكراماتي عليه، إذ لا يخلو نصّ **التّسلي** من الخطاب العجائبي والمكوِّن المناقبي كرامات له أو لمشايخه أو لمجاديب دمنات واللائي يعرفهم واحدًا واحدًا، فيقول عن شيخه الكتاني الذي وهب له لوزتين في لقاء في رحلته إلى الحج ومعهما دعاء خير وبركة «وشاهدت له كرامات ومكاشفات تدل على ولايته، وشاهدت له كرامات ومكاشفات تدل على ولايته، ورأيت في رفقته الأسرار ما لا يمكن كَتبه ولا النُّطق به»[37]، إذ من كراماته العجائبية أنه يسمع حديث الجمادات إليه من مثل حديث لباسه إليه[38]، بل إن الغجدامي نفسه كان صاحب أحوال ومقامات إذ يحكي أنه كان جالسا على محلّ يومًا، منفردا يتفكّر في الملكوت، فلاح في باطنه تور عمّ جسمه ظاهرا وباطنا، وجد عنه لذة لا يمكن التعبير عنه بالكلام، حتى أنه لو دام ذاك النور لأعرض، كما يقول، عن الكون بأسره، غير أنه مرّ كالبرق ولمح البصر[39].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن المادة المناقبية ليست نصوصا وضعت لتوثيق حياة ولي ولتحديد إشعاعاته الرّوحية وبيان جدوى الاقتداء به، إنما تصير عند أحمد التّوفيق «وثائق لا غنى عنها لجوانب معينة من التّاريخ، ومناجم لمواد صالحة للاستعمال التّاريخي في جوانب أخرى»[40]. فالمادة المناقبية مهما كان ليست نصوصًا وضعت لتوثيق حياة ولي ولتحديد إشعاعاته

[37]. **التّسلي**، ص.ص.120. 121.

[38]. **نفسه**، ص.105.

[39]. **نفسه**، ص.105.

[40]. التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن **التّاريخ وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص.81.

الرّوحية وبيان جدوى الاقتداء به، إنما تصير عند التّوفيق «وثائق لا غنى عنها لجوانب معينة من التّاريخ، ومناجم لمواد صالحة للاستعمال التّاريخي في جوانب أخرى»[41].

وحتى حينما يسافر في رحلاته إنما يكون مقصد الغجدامي إنما هي نقاط تجمع فقراء الكتّانيين أو من ينتسب إليهم بعلاقة أو وشيجة، فينزل في أولاد حريز بالشّاوية عند مقدم السّادات الفقراء الكتّانيين، وينزل في طنجة عندهم وفي الدّار البيضاء عندهم[42]، فله في كل بلد أخٌ في الطريقة، وله معه منزل ومحط قدم، بشكل يُظهر لنا كيف كان الانتماء إلى طريقة صوفية في المغرب وسيلة وأداة تواصل خطيرة بين الفقراء المنتسبين لها في كل مدينة وقرية وفي كل سفح وسهل يتواصل فيها النّاصري الذي في الصّحراء بالناصري الذي في قرى حوز مراكش والدّرقاوي الذي في سفح جبال شفشاون مع الدّرقاوي الذي في إفران الصغير، بل وقناة تواصل بين الطّبقات والفئات العليا منها والدّنيا، حيث نجد في نفس النص وهو نص **التّسلي** كيف أن طباخ الكتّانين يقرأ كتاب **دلائل الخيرات** متهجيّا إياه حرفًا بحرف[43] وهو نفسه الكتاب المفضل عند باشا مراكش الباشا الگلاوي الذي لزمه الغجدامي لعشر سنوات لم يرد عليه فيها كتابا ولا ناقشه في شيء قط[44]، يشهد عليه فيها الغجدامي أنه كان ذا نزعة صوفية يفضحها اختياره مدفنه تحت قبة كاتب **دلائل الخيرات** نفسه التي قدّم لترجمتها أحمد التوفيق[45]،

---

41. التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن التّاريخ **وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص.81.

42. **التّسلي**، ص.ص.122. 123.

43. **نفسه**، ص.121.

44. **نفسه**، ص.169.

45. **دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصّلاة على النّبي المختار ونصوص أخرى في الدّعاء والمديح = Dala'il al-Khayrat wa Shawariq al-Anwar fi as-Salat 'la an-Nabiyy al-Mukhtar et autres textes panégyriques et d'invocation**، محمد الجزولي؛ تقديم وتعليق أحمد التّوفيق وماري-جونفييف جيدون، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003.

وإلى جواره وجوار أخيه القايد المدني[46]، ويعبّر عنها الغجدامي في منقولاته عن حالة تدين هذا الباشا العارف بأصول الحكم وبتقنيات السيطرة على القبائل، إذ كان لا يترك درس كتاب **الشّفا** حتى في حركات تأديبه للقبائل فنجده لا يصدر أمرًا خطيرًا كانتخاب محلته وإرسالهم في مهمة حربية إلا بعد إتمامه لدرس الكتاب[47] الذي «لولاه ما عُرف عياض، ولولا عياض ما ذُكر المغرب»[48]. عياض الذي ما أن قدم أبو علي اليوسي لزيارة ضريحه في حدود المائة ألف حتى عرض له جيران ضريحه، فقالوا: «يا سيدي، نريد حد حرم أبي الفضل، يعنون من ضريحه إلى باب حومته، فقال لهم أبو علي: «المغْرِب كله حرم لأبي الفضل». بل إن الباشا الگلاوي كان يبدأ حركته التأديبية لبعض القبائل بقراءة **الشّفا** ويُنهيها بختم **الشّفا**[49].

ليكون اهتمام أحمد التّوفيق بنص **التّسلي** هو اهتمام آخر بالتجربة الصّوفية التي يعتدّ بها الغجدامي وبأهلها، وإن في نسختها الكتانية، التي ليست طريق أحمد التّوفيق لكنّها أختٌ لطريقته، إهتمام بنص يكشف عن كثير من حقائق دور التّصوف والطرق الصوفية وأهميتها عند المغاربة زمن محمد الغجدامي ونوع خاص من التّدين الذي تميز به فقهاء المغرب التقليديين حيث يتأكد عَجُزُ بيت شعري من نظم ابن عاشر

«في عقد الاشعري وفقه مالك ** **وفي طريقة الجنيد السّالك**»[50].

---

[46]. **التّسلي**، ص.160.

[47]. **التّسلي**، ص.165. 169.

[48]. **التّسلي**، ص.169.

[49]. **التّسلي**، ص.169.

[50]. عبد الواحد بن عاشر أبو محمد، **متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من الدين**، مكتبة القاهرة، ص.3.

تديُّن تتداخل فيه الأطر الثّلاثة، وتمتزج لتشكل هوية لا فقيه الشّرط أو العالم المغربي، وإنما هوية المغربي العامي أيضًا.

«وبعد فالعون من الله المجيد ** في **نظم أبيات للأميّ تُفيد**»[51].

ونجد الغجدامي في يقينه ببركة الصّالحين، لا يقوم بأمر مهم دون مشاورة إحدى مجدوبات دمنات، كرجوعه إلى المجذوبة للا باشا تاعجّانت التي يعدّها إحدى وليّات دمنات[52]، إلى جانب المجذوبة الإمورية[53]، ونجده لا يترك الفرصة تمر عليه وهو في طريق ما، حتى يعرّج لزيارة وليّ[54]، وحينما يصل مصر يصر على زيارة مقبرة السّادة المالكية في مقبرة القرافة، وكذا زيارة مقام الإمام الشّافعي[55]، ويصر على زياة ضريح إمام العارشقين سيدي عمر بن الفارض خارج القرافة[56]، ولا ينقل لنا نص **التّسلي** تجربة صاحبه مع الصّالحين، بل وتجارب السّلاطين العلوين معهم، فهذا المولاى الحسن الأول حين تخييمه قرب دمنات يترك مخيمه ويزور سيدي أبا موسى في بوغرارات، وسيدي أبا البخت بأيت أمغار، وسيدي واكريان بشعبة الكرم[57].

[51]. عبد الواحد بن عاشر أبو محمد، **متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من الدين**، مكتبة القاهرة، ص.3.

[52]. **التّسلي**، ص.265.

[53]. **نفسه**، ص.89.

[54]. **نفسه**، ص.48.

[55]. **نفسه**، ص.114.

[56]. **نفسه**، ص.115.

[57]. **نفسه**، ص.ص.58. 57.

7- الغربة بين المحقِّق وصاحب النّص المحقَّق:

أحمد التّوفيق المحقق والمؤرخ والرّوائي، ومعه التّادلي صاحب نصّ **التّشوف**، والغجدامي صاحب نصّ **التّسلي**، ومحمد بن عبد الله الكيكي صاحب **مواهب ذي الجلال** وعديد من أبطال روايات أحمد التّوفيق يشتركون كلهم في تيمة الغربة والاغتراب عن مواطنهم الأصلية، كلهم يعيشون حالة النّفي والنأي والبُعد عن الأمكنة المشكلة لهويتهم الأولى، كلهم يجدون أنفسهم مضطرين ومجبرين إلى السّفر بعيدًا مثلهم في ذلك مثل حالة الغجدامي الذي يلخص حياة طلبة القرآن الذين يحملون في الدارجة المغربية اسم «المسافرية» في السهول العربية و«إمسفرين» في السفح والجبل الأمازيغي، هذا الاسم الذي يحمل العديد من قيم الغربة من دلالة على الهجرة والبعد عن الأهل ومغادرة الموطن الأول الذي قد يكون قرية من قرى تادلا كما مع التّادلي، أو قرية من قرى غجدامة كما مع محمد الغجدامي، أو قرية من قرى الحوز؛ كما محمد بن عبد الله الكيكي، أو أحد قرى زمور؛ كما مع أم علال أحد أبطال **غريبة الحسين**، أو قرية من قرى جبال الأطلس؛ كما هو الأمر مع بطل روايته **السّيل**، أو مع أحمد التّوفيق نفسه الذي وجد نفسه مضطرًا للسفر بعيدًا عن قريته نحو مراكش؛ مراكش المدينة التي فلحت وأتقنت في استضافة الغرباء الوافدين عليها، وإكرام نُزلهم وجعلهم أهل الدّار وأصحاب القول الفصل فيها.

أوليس رجالاتها السّبع كلهم يشتركون في الانتماء إلى مجالات غير مراكش؟ أوليس الذي بناها إلا غريب ضارب في أصوله من أقصى الجنوب؟ ثم أوليس كبير رجالاتها السّبع غريبٌ من أقصى الشّمال؟

كبير رجالاتها، أبو العباس السّبتي هذا الغريب الذي استضافته مراكش فصار مقصد كل زائر أجنبي عنها ومحتاج غريب والذي لربما رأفة بغربته حقق له أحمد التّوفيق أخباره الغريبة، ومع أبي العباس يحقق أحمد التّوفيق لبقية غرباء الصّوفية الذين لا يقدر أحد أن يجاريهم في انتهاج آليات التّخفي ومحاولة التّستر كي لا يفكون أقفال غربتهم، بظهورهم في مظهر المساكين مرة والذين لا ينتبه لهم، أو بمظهر آخر يخفي حقيقتهم وهم المعروفين بالملامتية.

إن محمد الغجدامي الذي يشترك مع مُحققه في هجرة مسقط الرّأس القرية الأطلسية، من أجل طلب العلم والاستزادة منه، ليعيشا معًا نوعًا من الضّياع ما بين القرى والمدن كما حال الغجدامي، وما بين المدن كما حال أحمد التّوفيق، هذا الأخير الذي ظل مسكونًا بسؤال وقلق الغربة، قلق ينقله إلى رواياته كلها، كما القلق الذي كان يحمله الغجدامي في رحلاته القصيرة نحو القرى القريبة أو في رحلته الطّويلة نحو الحج.

في **غريبة الحسين** هذه الرّواية تستبد الغربة بكل الشّخوص وتخترق حيواتهم وتلف رهانات معيشهم اليومي، حيث يسوِّق أحمد التّوفيق جانبًا من اغترابه، فيُدخل الجميع في بوثقة الغربة بما في ذلك مقطوعة موسيقية، لا تدري من حال أمرها شيئًا، هي النّوبة الأندلسية، وبما في ذلك لربما المؤلف نفسه الذي قد تكون تآليفه كلها لها علاقة بالحنين الجارف لقريته أو للقرية عمومًا التي قد يرى فيها شيئا من قريته، شيئا من طيبة ناسها، شيئا من نسائم السفح، لهذا فحتى حينما يريد أن يختار لروايته: غريبة الحسين التي تدور مجرياتها في تنقل مستمر بين حواضر المغرب: مكناس، فاس، طنجة، ومراكش، وتطوان، لا يجد ما يزُيِّنَ به غلافها إلا صورة من الجبل، وبالضبط من رمز عطاءات الجبل وكرمه «السّبتوي» وهو الشّلال، وبالضبط شلال «أوزود»، تاركا خلفه بحر الظّلمات المجاور للعاصمة وحواضر المحيط، وتاركا نهر أبي رقراق

الجاري، بشكل يفضح استراتيجيات أحمد التوفيق ويفضح مرجعياته. ليظل التأريخ للبادية عبر العمل التخييلي والأكاديمي المهمة التي اختارها التّوفيق لنفسه، ليصفي حساباته مع غربته المستمرة، وليعالج جروحها من حيث اضطر مبكرا للانسحاب من عوالم الطّفولة، حيث غادر مدرسته الأولى ويركان ليلتحق بمراكش.

وفي ذات سياق رواية **غريبة الحسين** وبالضّبط مع رواية **السّيل** التي تتوزع أحداثها وتتراوح بين المدينة والقرية، غير أن واجهة المؤلَّف يختارها المؤلِّف أن تكون صورة مستوردة من عوالم القرية، صورة باب منزل قد يكون باب المنزل الأول الذي وُلد فيه أحمد التّوفيق، وإن لم يكن هو، فهو الأكثر شبهًا به. والأكثر شبها بباب سكن أبي يعزى الولي البدوي جدًا، إذ بيته كان «بلا باب ولا غلق»[58]، حيث «يحيل الباب المفتوح أو القفل الغائب على تحد لكل الأسوار ويمثل عناقًا مفتوحًا (...) بالنّسبة للمعوزين والفارين والتّائبين»[59]، وهو ما تمثله القرية ككل بسخاء أرضها وترحيب ورحابة صدر أهلها، وهذا الذي يمثله بيت «سي بورحيم» في قرية إمَرِغْنْ، سي بورحيم الذي وهب عجلًا سمينًا بنصف ثمنه للفقراء التّيجانيين ذات حفل.

إن الباب وجدران معالم البيت التي على غلاف رواية **السّيل** هي عودة وحضور قوي للقرية، وكما يشكل الباب المفتوح إحالة على قرية أبي يعزى و«الولد أحمد»، فالأبواب المقفلة جيدًا هي إحالة على المدينة التي ترهَب الغريب، وتُحذر من الضّيف وتشيح بظهرها عنه، لذا كان غلاف الشّطر الثّاني من سيرة «الولد أحمد» في المدينة، والمخصص لدراسته في مراكش،

[58]. التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن **التّاريخ وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص.86.
[59]. **نفسه**، ص.86.

مؤثّثًا بمشاهد لأربع أبواب كلها منيعة ومحكمة الإغلاق، من يريد الدّخول يحتاج لطرق الباب أو فتحه بمفتاح على عادة «برتوكلات» المدينة وأهلها[60].

نعم إن بيت وسكن الطّفولة، باعتباره للكون والعالم الأول، إنما هو كون وعالم حقيقي بكل ما للكلمة معنى، بحسب غاستون باشلار[61]، وكذا تخطيط أولي للظاهرة النّفسية للكائن، «فقبل أن يُقذف بالإنسان في العالم [...] فإنه يجد مكانه في مهد البيت [...] لتبدأ الحياة ـ فيه ـ بداية جيدة، تبدأ مسيجة محمية دافئة في صدر البيت»[62]، هذا البيت الذي لا ينفك الطّفل حينما يكبر أن يستعيدها ويبحث عن معالمه الخربة أو حتى ما يذكّر به من مستحدثات خياله أو نصوص وعوالم يجدها عند غيره. ومن هنا تكمن عودة أحمد التّوفيق للأعمال ذات المسحة البدوية أو تحقيق نصوص تُعنى بالبادية، وكأن الأمر يتعلق بفعل توديع متجدد لقريته التي توقف عندها سيل سرده في روايته **ولدٌ ومَا ولد: طفولة في ظل السّفح**، ومع كل عمل يبزغ نفس الشّعور المتكرر بجدوى أن يكون الوداع أكثر دفئاً وحرارة عن من فُقد والعودة من جديد إليه بصيغة من الصّيغة الممكنة سرديا وأكاديميا، إذ لا مجال لتفادي فعل الوداع والعزاء وداع عوالم الطّفولة: المنزل، الأسرة، القرية، الجبل، مدرسة ورغان، فهما ابتعدنا عنها حاولنا بكل الوسائل، ولنستحضر هنا بيت أبي تمام الذي كان ينحت شعره من لحم قلبه:

نقّل فؤادك حيث شئتَ من الهوى ** ما الحبّ إلا للحبيب الأوّل

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى ** وحنينه أبداً لأوّل منزل.

[60]. أحمد التّوفيق، **والدٌ وما ولدَ: الطّريق إلى المدينة**، الدار البيضاء؛ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2014.

[61]. غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتوزيع، 1987، ص.36.

[62]. المرجع نفسه.

وداع ونعي وعزاء الولد أحمد التوفيق، ليس للقرية فقط، وإنما لعوالم الوالد «سي بورحيم» بالتّحديد، «سي بورحيم» فقيد الولَد «سي أحمد»، والذي يبقى موته موتاً أوّلاً، موتًا دائما، وغريباً ولا يفتئ يتجدد جرحه، وانتزاع ورقته من كانيش الباقين في الحياة هو ظل رُزءاً لا يستطيع الولد أحمد التّوفيق تحمل عناء حمله، إلا بإلقاء ثقله عبر خطابات سردية عن الوالد أو أشباه الأمكنة التي جمعتهما: الجبل والقرية.

سيبقى غياب «سي بورحيم» أو بالأحرى موته ضربًا من نهاية العالم (La fin des temps) كما قال دريدا، ليشكل غيابا آخر، إذ أنه مع كل موت ثمة قيامة جديدة للعالم، ليكون موت «سي بورحيم» كما مغادرة «سي أحمد» مدرسة ورغان وابتعاده عن قريته إنما هو ضياع سياق خاص كان يحضى به أحمد لتّوفيق مع هذا الوالد، وحياة خاصة جدا صارت له مع انسحابه، وإنما «نهاية عالم» بعينه، يتوسل أحمد التّوفيق، ما أمكنه الوقت والفرص، لاستعادته وتذكير نفسه وقرائه به يقول أحمد التّوفيق: «كتبت كتاب الذكريات الأول استجابة لحاجة شخصية، وهي الرّغبة في تكريس امتنان وعرفان في حق الوالد، يكون لبوسه من قبيل الحنين والالتذاذ بالحكي والاسترجاع»[63]. لا أحد يريد أن يقطع مع ماضيه لصالح الوطن أو المكان الجديد، حتى لو كان هذا المكان مكانا داخل الوطن.

برغبة يعرفها أحمد التّوفيق جيداً، يُظهرها أو لربما حتى يتستر عليها، تُحركه بوعي أو حتى دونه، يبحث لها عن حلول قريبة من قريته وتقربه منها، إذ ما نبحث عنه بعيدًا، وهو بقربنا يوجد، دون نعلم أننا نبحث عنه كما يقول كافكا، فأحمد التّوفيق يبحث في كل ما كتب ويكتُب إنما على أشباهه من الغرباء، من الصّوفية أشباه أبي يعزى، وأويس القرني، ومولاي عبد السّلام

[63]. أحمد التّوفيق، **والدٌ وما ولدَ: الطّريق إلى المدينة**، الدار البيضاء؛ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2014، ص. 8.

بن مشيش وبقية الأصحاب من الشّخصيات المتخيلة في أعماله السّردية، فالرجل منا قد يجد من الأشياء، لا من الشّخوص وحدها شبيها له، قد يشفق عليها ويغمرها باهتمامه، ويقربها منه، ويؤنسنها، بأن يضعها في مكان قريب من فؤاده، قد يكون شجرة استظل بها ذات سفر فقد صادقها وصادقته ولزاما عليه أن يسألها ويبرّ بذكرها كما ينبهنا ابن عربي، وقد يكون فناء قصره المشيد، بشكل يلخص اغترابه ويُفجر تيمة المسكوت عنه من انشداده الحزين بأرضٍ وأصل ما، ولنتذكر هنا أبيات عبد الرّحمن الدّاخل حين تراءت إلى ناظره وهو في حدائق الرّصافة نخلة هي عند العربي في مقام العمّة:

«تبدّت لنا وسط الرّصافة نخلة ** تناءت بأرض الغرب عن بلد النّخل

فقلت شبيهي في التّقرب والنّوي ** وطول التّنائي عن بنيَّ وعن أهلي.

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ** فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي»[64].

يصير النّفي والسّفر البعيد عن القرية إمَرِغْنْ والأصل، تجافيا آخر وثَنائيا عن التّداني والتّلاقي الذي أومأ إليه التّوفيق مرارًا، والذي يداوي فيه جراحه النّرجسية: تصوفًا في العمل والتعبد، أو سردًا في التأمل والنّظر، فالحنين إلى شيء ما غالبًا ما يتم إهراقه بطريقة ما، وتتم عملية إراحة الذهن من إرهاقاته بابتكار حلول إبداعية ما بالكتابة مثلًا أو بالموسيقى، وهذا تؤكده كلود فيرني حينما تُعقب على جواب المعلم في رواية **غريبة الحسين** عما تعنيه «**غريبة الحسين**»؟: «يريد أن يقول إن كل ما بمقدور الإنسان أن يفعله أمام عجزه في تلك المغامرة هو إهراق الحنين، لذلك ابتكر الموسيقى»[65].

[64]. ينظر حميدة صالح البلداوي، **الأدب الأندلسي، موضوعاته وخصائصه**، بغداد، 2002، ص. 18.

[65]. أحمد التّوفيق، **غريبة الحسين**، رواية، دار النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطّبعة الأولى،2000.، ص.307.

8- أحمد التّوفيق والبحث عن الزّمن المفقود:

مهمة البحث عن القرية والبيت الذي أكل أحمد التوفيق من تراب جدرانه كما ذكر في **والدٌ وما ولدَ**، ليست مهمة التّوفيق وحده في أعماله، وليست المهمة التي خاضها محمد الغجدامي في حفريات ذاكرته، وهو يصول ويجول بنا عبر صفحات **التّسلي** في بوادي هنتيفة والسراغنة وغجدامي، وإنما هي المهمة التي لا يفلح غالبًا، كل الكُتَّاب في التّهرب منها، ولا يفلحون في التستّر عليها، فكلهم يحاولون الاجتماع بلحظات عزيزة عليهم مرّت ويحاولون إعادتها وإحياءها من جديد، ومعها يحاولون لقاء أناس يحبونهم عبر ما يكتبون، وهذه كانت مهمة حتى أحد كبار روائيي العالم، فبروست مثلًا في روايته **À la recherche du temps perdu**، بأجزائها السّبعة، لم يكن يبحث إلا عن قريته Combray أو بالأصح le village d'Illiers، التي قضى فيها إجازاته لدى عمته Léonie لثلاث سنوات متتابعة، والتي كان بروست طوال عمله الطّويل جدًا حد المقت، بحسب قول أندريه جيد، في عملية بحث شاقة ومظنية عنها، مع تغيير بسيط شمل اسم القرية، من قرية Illiers الواقعية إلى Combray المتخيلة.

في عوالم روايات وأعمال أحمد التّوفيق دومًا نتحسس أن هناك لا شيئا من حتى، وإنما أشياء من إمرغن، فكما هو الحال مع بروست في روايته مع قرية طفولته le village d'Illiers، هو الحال مع أحمد التوفيق مع إمرغن، حيث ينطلي الخيال على الواقع ويلتحمان، ورغم تحايل المؤلف التخيلي، فغالبًا ما تنكشف خطاطات عمل أحمد التّوفيق كما انكشف خطاطات عمل بروست، الشّيء لذي جعل أهل قريته بمناسبة الذّكرى المئوية لميلاد أديبهم، يصدرون قرارا بتوأمة قريتهم مع قرية **البحث عن الزمن الضائع** المتخيلة ليغدو اسمها Illiers-Combray،

وذلك مهما كانت الأحداث وتبدلت الشّخوص والأسامي فمهما كان الحال ومهما كان خيال الرّوائي المجنّح لا يمكن أن تنطلي لُعَب الرّوائي على أهل قريته.

إن أحمد التّوفيق في تحقيقاته لنصوص تذكره بمجال طفولته، وفي روايته عن عوالم تشبه من كذا وجه عوالم هذه الطفولة، إنما يتفقد ذكرى وحضور من فقدهم: المجال وامتداداته، لذا يرصد لنا في نهاية **والدٌ وما ولدَ: طفولة في السّفح** عبر جدول دقيقة، لا ينسى صاحبها أي أسرة، يرصد أسماء العائلات المكونة للقرية واحدة واحدة، ويحدد إحداثيات سكَنها جغرافيًا تمامًا كما لو يتعلق الأمر ببحث أكاديمي جدًّا أو إحصاء وطني عن المدن الكبيرة ذات الأحياء الكبيرة. فتجربة المدينة التي عاشها أحمد التّوفيق ظل دوما يحمل معها سؤالًا محرجًا له وهو: متى تكون نهايتها؟ ربما ليعود إلى تجربته الأولى، وظل دومًا متحفظًا اتجاهها، ودون أن يصل لمرحلة رفع الحرج بالاطمئنان الكامل والتّام لها، فيقول مُعقّبًا على العنوان الفرعي لروايته **والدٌ وما ولدَ**: «الطّريق إلى المدينة يحيل على انتقالي إلى عالم مختلف عن عالم القرية، مع كل تبعات هذا الانتقال والتحول، لا على سبيل الاكتشاف وحسب، بل على سبيل المعاناة أيضا، إذ أن الشّعور المعبر عنه بهذا العنوان الفرعي هو الاقتناع بأن مسيرتي نحو عالم المدينة قد لا تكون وصلت الى نهايتها حتى يومنا هذا، وأنا أشارف السّبعين، لأن المدينة في تجربتي ليست مجرد مكان يسافر إليه، بل هي أحاسيس ولغة، وانفعالات وتصورات وأحكام، وهي جوانب بقيت في فكرتي وسلوكي متحفظا على كثير منها، أو دون الاطمئنان الكامل إليها.»[66].

الرّواية كما التّحقيق يصيران لدى أحمد التّوفيق طريقين للتوفيق بين حبه وهوسه الإبداعي ونزوعاته الأكاديمية وبين لعبة ممارسة الانتماء والرغبة في إعلان هويته ومحاولاته ترميم رتوقات

[66]. **والدٌ وما ولدَ**، الطّريق إلى المدينة، ص. 8.

غربته وبُعده عن العوالم التي جمعته بـ «سي بورحيم»، بشكل دائم ومستمر كي لا تخرَّ ذكرى إمَرِغْنْ بالمرة أمام غَمْرِ وسيل المدينة له ولها واستغراقه بالتالي فيها، فيكون تحقيق **التّسلي** حماية للذاكرة، عبر لعبة البحث عن الأشباه والنّظائر التي في جزء مهم منها هي التي قد تكون قادت أحمد التّوفيق نحو الاشتغال على **التّشوف** المُثل بالمتغربين والغرباء من الصّوفية، ما دام أحد الأسماء التي للصوفي هي الغريب أي «النّابتة» الذي يواجه مصيره منفردا، في تدبيرٍ مُتوحد لعوالمه، وهو الذي تحدث عن ابن باجّه بالقول: «وكأن السّعداء إن أمكن وجودهم في هذه المدن، فإنما يكون لهم سعادة المفرد وصواب التّدبير إنما يكون تدبير المفرد، وسواء كان المفرد واحدا أو أكثر من واحد، ما لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة وهؤلاء هم الذين يعنيهم الصّوفية بقولهم الغرباء، لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم قد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخر هي لهم كالأوطان»[67].

رغم الغربة عن قريته إمَرِغْنْ يُصر أحمد التّوفيق على أن يخلق له أواصر طيبة مع أشباهه من الغرباء، فينسحب تاريخيًا كتكتيك أكاديمي منه لمواجهة غربته، ومعالجة ومداواة نُزُوحِهِ الجغرافي عن إمَرِغْنْ، بنزوح آخر في التّاريخ؛ نزوح بعيد إلى القرن السّادس ليذوب في عوالم أبي يعزى وأبي سهل القرشي وأبي يعزى وعلي بن حرزهم وبقية أهل الولاية والصلاح، كي لا يتحقق ذوبانه التّام في المدينة، ولا يكتمل ضياعه ضمن شروطها العابرة والمتغيرة، فيكتوي بخراب قيمه حينما تندمج هويته بهوية ما هو المفارق له، كما اكتوى بخراب قريته الصّغيرة وانهدام معالمها، والمسخ الذي لحقها وصارت إليه مع اختراق عادت المدينة لها، بشكل جعلها مدينة صغيرة، أو بالأحرى قرية هجينة وممسوخة.

67. ابن باجّه، **تدبير المتوحد**، نشر ضمن **رسائل ابن باجّه الإلهية**، ص.43.

إن القرية التي هي مدار القول عن غربة أحمد التّوفيق هي حلم ويوتوبيا، لا تنفك أن تظهر في أعمال التّوفيق، لأنه يتلمس فيها وفي الحومان حولها، وجه الوالد ووجه الوالدة ووجه طفولته الدّافئة والبريئة والطيبة جدا، ووجه جماعة لَعبه الأولى، ووجه رفقائه في المسجد، ووجه أعمام والده، ووجه أصحاب «سي بورحيم» من النّظيفيين وبقية التّيجانيين. والتي بتذكره وبتذكريه لها يرتق أحمد التّوفيق التمزق التراجيدي الذي يشترك فيه، وبعدالة منصفة، أهل المدينة جميعهم دون استثناء. لتكون لواعج الغربة وهواجس الاغتراب مدارًا لحديث الذات ومدارًا لمكتوباتها، وليكون الغرباء عبر كل هذا، هم أصحاب التّوفيق والذين يحظون باهتمامه، ممن تركوا خلفهم الوطن والأهل، ومنهم هنا صاحب **التّسلي** محمد الغجدامي الذي ترك قريته الصغيرة، وعلّال المسافر العائد بطل **غريبة الحسين**، وبقية أبطال عوالمه السّردية الآخرين، وكذلك أبو العباس السّبتي الذي ترك موطنه في أقصى الشّمال ليستقر في جبل جليز، وأبو يعزى الهائم على وجهه بين الشّطآن والجبال والغابات.

كل هؤلاء الغرباء إذن، يستضيفهم أحمد التّوفيق في أعماله، فليست الضيافة دوما تستلزم دخول عتبة منزل ما، وإنما الضّيافة أيضًا ضيافة السّرد والكتابة، ولا ننسى هنا قول بولس الرّسول في رسالته إلى العبرانيين «لاَ تَنْسَوْا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لأَنَّ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ»، ففي الضّيافة الابراهيمية لا يكون المضيف فيها «مقيما في مكان محدد»[68]، والضّيف لا يأتي فيها، كما جرت العادة، «على حين غفلة من مكان معين»[69]، وإنما أحمد التّوفيق من يبحث عنهم، ويستدعيهم ويكرم وفادتهم بالبحث في سيرهم، ومناقبهم، وإصلاح حروف أسمائهم، وإكرامهم بالهوامش التي تفك عنهم تغريبتهم، وإخراجهم للعلن، وتوطينهم على

[68]. عبد الفتاح كيليطو، **إبراهيم وضيفه**، ضمن **الغائب، دراسة في مقامة للحريري**، دار توبقال، الطّبعة الثّالثة، 2007، ص.40.
[69]. عبد الفتاح كيليطو، **إبراهيم وضيفه**، ص.40.

الخرائط لتعريف الناس بمنازلهم في عوالم البرزخ كي تتجدد العلاقة بهم، ويصير الذي كان مجرد غريب فقط مقصدا للزيارة ويستبدل دوره من ضيف فقط إلى مضيف وصاحب وطن.

مسألة الأصل والموطن الأول مدار الغربة وعلّتها الأول، مسألة تستبد بأحمد التّوفيق وتستأثر باهتمامه، فلا يجد ما يبدأ به ملخصه العام لكتاب **التّسلي** الذي يواجه به القارئ في ظهر الغلاف، غير البداية بأصل الرّجل، فيكتب «نص يتضمن ذكريات شخص ولد في قرية من قرى الأطلس الكبير الغربي (قبيلة غجدامة)»، فهيام واهتمام المحقق بالأصل والموطن من قاده أيضًا لتحقيق **التّشوف**، مع ما يستلزمه الأمر من تحريات ميدانية مرهقة، جاب فيها جغرافيًا شاسعة، إذا يقول: «وأدركت ـ أنه ـ لو وقع التّوسع في البحث ليشمل مجموع المناطق التي ينتمي إليها المترجَمون في الكتاب، لأمكن التّعرف على مواطن جلهم، ولكان ذلك إسهامًا في توضيح جانب من خريطة المغرب الدّينية وجانب من التّاريخ الثقافي والاجتماعي للمدن والبوادي على العموم، لأن بعض الرّسوم ما تزال قائمة بالرغم من تبدل الأحوال ودروس الدّيار وعفاء الزمن»[70].

إلا أن عناية أحمد التّوفيق بنص **التّسلي** كما ينبه هو، لا تتعلق بمسألة الدّم أو القبيلة أو الأصل فلا هو ينتمي لدمنات، ولا لقبيلة إينولتان[71]، وإنما غرضه يتجاوز ما هو إثني ومحلي، فانتماؤه الأكاديمي يتجاوز منطق القبيلة والمدينة والمنطقة الذي انطلق منه مؤرخو الأمس، من مثل عبد الحي الكتاني في **سلوة الأنفاس** مع مدينته فاس، والتعارجي مع مدينته مراكش في **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ومحمد المختار السّوسي مع سوس في **معسوله**،

[70]. **التّشوف**، ص. 6.

[71]. **التّسلي**، ص. 5.

والكانوني مع حاضرة المحيط آسفي، وإنما يتعلق الأمر بهوس نفسي هو هوس الاغتراب الذي عاشه أحمد التّوفيق وعاشه صاحب **التّسلي**.

9- تحقيق التّسلي أو عن نتائج التلمَزة الماركسية:

أحمد التوفيق كما أستاذه جرمان عياش، كان يعرف أن مشكلة المؤرخين تبقى بالدّرجة الأولى هي مشكلة المصادر، التي أدى أحمد التّوفيق كل ما كان منتظراً منه اتجاهها تحقيقا وتعريفًا؛ إذ يعلم جيدا أن هذه المصادر هي مصادر أدبية، في ظل عدم توفرنا على وثائق الدّول التي نحاول دراستها[72]. وفي حالة القلّة هذه، فإن كل النّصوص لها أهميتها عنده، وكل الآثار لها قيمتها، وكل الوثائق لها دورها، فيبدأ مشروع البحث عنده، من وثيقة بسيطة، لا تحظى عند الجميع بالعناية الكافية، بل قد لا تجد من يهتم لها أصلًا، كأن تكون ورقة «بُون» مثلًا، أو وثيقة لإحصاء ضريبي، ترجع لسنة وزمن يبقى كل شيء فيه مبتذلًا وعاديًا وبسيطًا، هذه الوثيقة الأخيرة التي كانت سببًا مباشرًا في انصراف أحمد التّوفيق للبحث في تاريخ قبيلة بسيطة، بالمقارنة مع كثير من القبائل ومع تاريخها. وثيقة هي إحصاء لرُبع من أرباع قبيلة إينولتان هو قبيلة كطيوة[73].

إن اهتمام المحقق أحمد التوفيق بالوثائق هو استمرار وامتداد لمدرسة أستاذه جرمان عياش الذي اعتبر الوثيقة الرّسمية والخاصة أحد المصادر الدّفينة للتاريخ المغربي[74]، التي لا يمكن قراءة التاريخ المغربي إلا في ضوء ما تهبنا إياه من معلومات مختلفة الأهمية والقيمة، من هنا ستقوده

[72]. أحمد التّوفيق، **ملاحظات وتساؤلات بصدد تكون الدولة المغربية**، مجلة آفاق، ص.106..

[73]. شهادة أحمد التّوفيق، ص.83.

[74]. جرمان عياش، **مسألة الوثائق التاريخية المغربية**، ص.62.

هذه الوثيقة، فيما بعد، لتحقيق كتاب سينال به أحمد التّوفيق لا حظوة في مجال التّحقيق فقط، بل ومنزلة في التّصوف كذلك، بما يعنيه كتاب مؤسِّس **كالتّشوف** عند أهل الطّريقة، وليكون **التّشوف** القوس الأول عن قبيلة إينولتان، بما هو أحد المصادر عن الهسكوريين[75]، وليكون، لربما، نصّ **التّسلي** القوس الأخير عن هذه القبيلة التي خصّص لها التّوفيق شطراً صالحاً من عمره وقد لا يكون.

يبدأ كل شيء إذن، من شاهدةٍ مُهمَلةٍ في بداية تسجل أحمد التّوفيق في شعبة التّاريخ سنة 1970، غير أنها مُلهِمةٌ بالنّسبة لمؤرخ هو أحمد التّوفيق، وهي وثيقة ضريبية من سنة 1900، وثيقة من صفحة سيتفرع عنها عمله التّاريخي المتميز عن قبيلة إينولتان، هذه الوثيقة ذات الإحالة الاقتصادية تؤكد الملاحظة التي لم يجد أحمد التّوفيق بُدًّا من وضعها في تقديمه للكتاب، وليختارها كشذرة يغلق بها أطروحته ويختمها بها، فيكتب «والواقع أن هذا البحث قد استفاد من الأدبيات المنهجية الماركسية»[76].

ذكر هذه الوثيقة لا يستحضره التّوفيق في مقدمته **للتسلي**، وإنما في مقدمته لعمله النّوعي عن قبيلة إنولتان، حيث يوجه الشّكر أولاً[77]، كما عادته في أعماله، لجرمان عياش على تمكينه من الوثيقة إياها التي انطلق منها، والتي تُظهر هوس الطّالب أنذاك ومشرفه بـ»الوثيقة» كمصدر لتاريخ المغرب، ورغم أنه يصفها بالمغامرة المحفوفة بالأخطار، فإنها، تشكل عند مشرفه وأستاذه، الغابة العذراء[78]. من هنا كان استدراج هذه الوثيقة الضّريبية المخزنية لأحمد التّوفيق، أو

---

[75]. **التّشوف**، ص.6.

[76]. **المجتمع المغربي في القرن التّاسع عشر**، ص.ص.9، 273.

[77]. بنوع من البرور لا يترك أحمد التّوفيق أعماله دون شكر، في عادة علمية. أخلاقية دأب عليها كبار الباحثين، .

[78]. جرمان عياش، مسألة الوثائق التّاريخية المغربية، ضمن **دراسات في تاريخ المغرب**، ص.63..

بالأحرى استدراج جرمان عياش لتلميذه بوثيقة تبقى في الأخير مجرد ورقة كغيرها من الأوراق الحكومية، غير أنها تبقى الأساس لأعمال التّوفيق الأكاديمية ولربما حتى الرّوائية.

لا الملاحظة ولا الوثيقة، كلاهما تعاودان، كما الماركسية، اكتشاف الإنسان في عوالمه الفعلية الراسمة لمشرطياته المادية، وتتبع هذا الإنسان من خلال الإمكانات التي توفّرها له موارده وإمكاناته التحتية، متأثرا، في هذا، بأستاذه جرمان عياش الذي كان يفكر من خلال وجهة نظر ماركسية ويناضل من خلال حزب ماركسي جدًا[79]، باعتباره عضوًا بارز في الحزب الشّيوعي المغربي[80]، والذي كان يبحث في التّاريخ المغربي منطلقًا من فكرة أن «التّاريخ ليس من صُنع الأشخاص، بل هم أنفسهم من صنع المجتمع وتصنعهم الظّروف المتشابكة»[81]، ليكون بحث التّوفيق ذي الهوى الماركسي منهجًا، من جهة مشرفه[82] الذي ركّز في بحوثه «على الحياة المادية عند تصور الماضي انطلاقًا من تشبعه بالفكر الماركسي»[83]، وبالتأكيد نفث في روع تلامذته شيئًا من ماركسيته المناضلة، خاصة وهو الذي درّس أحمد التّوفيق منذ السّنة الأولى في شعبة التاريخ، مع حرص الأستاذ/ المناضل على خلق وربط خيوط صداقة حميمية[84]، نتج

[79]. يمكن في هذا الصدد مراجعة علي يعتة، **كان جرمان عياش مناضلا تقدميا ثوريا عاهد ووفى**، **البيان الثقافي**، السّلسلة الجديدة، 12. 11. 1990.

[80]. عمر أفا، جرمان عياش: سيرة مختصرة، ضمن **دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش**، [أعمال ندوة علمية عقدت ما بين 16 و17 يناير 1992]، الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994. ص. 24.

[81]. شهادة أحمد التّوفيق، ص.81.

[82]. يتشابه أحمد التّوفيق وأستاذه جرمان عياش في كونهما كلاهما توجها في بحثهما الأول لنيل دبلوم الدراسات العليا إلى ما هو مادي في تاريخ المغرب فإن كان بحث التّوفيق قد بدأ من وثيقة الإحصاء الضريبي كأحد أوجه التّعاملات المالية، فإن أستاذه كان بحثه لنيل دبلوم الدراسات العليا والمقدم في 40 صفحة، والمترجم للعربية في 39 صفحة. (عياش، جرمان (1915-1990)، **جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860**، الرّباط: المطبعة المغربية روايال، 1959.)

[83]. عمر أفا، جرمان عياش: سيرة مختصرة، ص. 27.

[84]. شهادة أحمد التّوفيق، ضمن جرمان عياش المؤرخ المناضل، تنسيق عبد الرّحمان المودن وعبد العزيز بل الفايدة، ص. 80.

عنها أنه دَارسه نصوص أنجلز[85] في بيته، أو بالتحديد نصًّا واحدًا، لكن دون أن نعرف بالضبط هل نصّ هو «**أصل العائلة**» أو **نصّ الفلاحين**؟.

البحث ماركسيًا، عند أحمد التّوفيق في تاريخ المغرب عن مواضيع ذات صبغة ماركسية، سرعان ما سيتقلب إلى مواضيع ذات صبغة غير ماركسية بالكامل، فما الذي صَيّر بحثه إلى بحث في تاريخ تصوف المغاربة؟

قد نجد الجواب مع جرمان عياش نفسه هذا الماركسي اليهودي، حيث يصادفه أحمد التّوفيق خارجًا من سوق المستعملات، وبيده شمعدانًا يهوديًا سباعي الأغصان، ومع أن جرمان حاول أن يشرح للتوفيق قيمته الفنية، غير أن التّوفيق حكم الحكم التّالي:

«جرمان يهودي قبل أن يكون ماركسيًّا»

الحكم نفس سينطبق على أحمد التّوفيق الذي كان صوفيًّا في قريته التي يجتمع فيها التّيجانيون، والذين كان والده يجالسهم ويبرُّ بهم، قبل أن يأخذ بالمنهج الماركسي وأسئلته في البحث، فالبحث في التّصوف وعن الصّوفي هو بحث عن وفي مناضل القرون الوسطى، الذي يؤدي دور البروليتاري الثّائر الذي يتعاند بشكل متفرد في الانتصار لجانب العامة والطّبقات المهمشة على حساب الخاصة، وعِليّة القوم ضمن منطق تجربته «من حيث هو منطق الخروج عن نظام الاستبداد وشرعه»[86] كما يؤكد أحد منظري الماركسية العربية، وبالتّالي انغماس الصّوفي في سياسة ومُسايسة واقعه، خاصة أن الواصل الحقيقي عند المتَصوّف هو أن يكون ابن

[85]. شهادة أحمد التّوفيق، ص. 81.

[86]. مهدي عامل، **نقد الفكر اليومي**، ضمن الأعمال الكاملة، دار الفَارَابي، الطّبعة الثّانية، 1989، ص.265.

وقته[87]، وتزمنن الصّوفي إنما يحتمل ضمناً تسيسه[88]، ونضاله إنما يجعله يمتلك مطامعًا واضحة للهيمنة والاستحواذ على خطاب السّياسة وكذا الشّريعة، لغايات فرض مشروعه في العدالة التي يسعى لها الماركسي نفسه، وبالتّالي تعويله أن يصير بديلا للاستعاضة عن باقي المشاريع لإقامة وتدبير مملكته الإنسانية[89]، مستغلًّا «سلطته المؤسسة على طابعه الكاريزماتي، ولطبيعته كمفوض من غير مفوض رسمي»[90].

بهذا فإن ميلان التّوفيق نحو التصوف هو ميلان نحو الطّبقات التي أعلنت الماركسية ولاءها لها، طبقات المهمشين في التاريخ، بما هو الصّوفي صديق المهمش ونصير المهمشين. ولهذا فإن التّوفيق يعتقد أن نصا صوفيا مفرطا في الأخبار الكراماتية كـ **التّشوف** ليس يعني المهتم بتاريخ المغرب الدّيني والروحي كما اعتقد محقق النّص الأول أدولف فور، بل يعني كذلك المهتم بتاريخ المغرب في بانوراميته، أي اجتماعيًا وثقافيًا[91].

10- التّسلي وثيقة أخرى عن تاريخ الآخر:

يُضطر أحمد التّوفيق، من جديد، بتحقيقه لكتاب **التّسلي** إلى المرافعة عن المهمشين وتاريخهم، وتحديد موقفه التّاريخي من التّاريخ من خلال الاعتناء بتاريخ أهل الهامش، وبكون التأريخ هو أيضا تأريخًا للمنسي والمهمش، وليس فقط سردًا للأحداث العظيمة وحكيًّا عن حيوات

---

87. ابن عجيبة، **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، المكتبة التّوفيقية، القاهرة، 2008، ص.80.

88. مهدي، عامل، م م، ص.255.

89. الإحالة هنا لكتاب أبو بكر بن عربي، **التّدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**، مخطوط مكتبة الرّياض، رقم 214/ ت، ع، خط بعد القادر بن الشّيخ سبور كلي (1206هـ).

90. نور الدين الزّاهي، **بركة السّلطان**، دفاتر وجهة نظر، رقم 12، 2007، ص.64.

91. **التّشوف**، ص.6.

الشّخصات المهمة، إنه تأريخ للإنسان العادي الذي قد لا يؤبه به، ولا ينتبه له، أمام الأحداث الكبيرة والشّخصيات ذات الصّيت، بتحقيقه لنص لشخصية بسيطة في مهنتها، ولحياة مفرطة البساطة عند البعض، غير أنها شخصية تحاول أن تواكب الأحداث وتنظر إليها بنظرة خاصة ودقيقة تصور دقائقها وتحاول أن تعرضها وتنقلها بتفاصيلها المملة.

إن مذكرات محمد الغجدامي هذه رغم أنها قد تكون كتبت عن اليومي وخلاله، غير أنها قد تغدوا في أعين الذين سيأتون بعد جيل أو جيلين، سجلًّا لعالم مفقود ومنسي[92]، لهذا يشعر كاتب السّيرة عادة بضرورة وجدوى تخليف سيرة ذاتية تؤرخ للمندثر لتكون الكتابة عصا موسى التي تحييه وتعيد له حق الكلام بيننا، إنها مذكرات تعطي الكلمة للمهمشين الذين عاصرهم محمد الغجدامي، القرويين، فلاحون، سجناء، رباوات بيوت، والسجناء، والطلبة، وأصحاب القراءات وغيرهم، حتى وإن لم يتكلموا بألسنتهم فإن الغجدامي ينقل لنا أحوالهم الناطقة بهمومهم ومشاكلهم.

الكتابة الهامشية التي تمثلها السيرة الذاتية لهذا «الطّالْب» محمد الغجدامي، تُبرز للعلن المضمر من التّاريخ، والمنسي فيه، والمتغافل عنه، لتفجر الحياة البسيطة للبسطاء والتي حاول أحمد التّوفيق بيان إحداثياتها الدّقيقة في أطروحة عن قبيلة إنولتان، ليكون نصّ **التّسلي** بالتالي جزءًا من أطروحة إينولتان أو بالأحرى مُكمّلا لها، أو الوجه الخلفي والآخر لها، الذي يُتبث ما في الأطروحة أو ينفيه ويفنده، وذلك على الرّغم من أكاديمية وعلمية الأطروحة في مقابل بساطة أو حتى سذاجة نصّ **التّسلي** في كثير من فقراته، فالقَصص الوعظية والرقائق الصّوفية وحكايا

[92]. إدوارد سعيد، **خارج المكان**، ترجمة فواز طرابلسي، ص.19.

التّذكير بالثّواب والعقاب الأخروي التي يزخر بها هذا النّص، ليست إلا صورًا لتمثلات الإنسان المغربي في هذه اللّحظة التي ينتمي لها الغجدامي.

إن كل حدث يحكيه محمد الغجدامي ويستعيده هو صورة مباشرة لدقائق حيوات المغاربة ومن مسافة النّقطة الصّفر، أي في الالتصاق المباشر له بلواعج الحياة وطياتها وثنياتها بتعبير دولوز، خاصة وأن «طالب الشرط» كان دوما القريب من هموم أهل المدينة أو القرية التي يؤم فيها الناس، فحكايا الحياة البسيطة التي يزخر بها نصّ **التّسلي** والتي يمكن الحكم عليها ببدائية التّفكير وببساطته، خاصة المتعلقة بأخبار الصّالحين والتي يجعل منها غاية لكل حدث ونتيجة له، هي من تحتضن أهم جوانب التّاريخ المغربي، ويمكن توظيفها بعناية في أي محاولة للعناية بهذا التاريخ، فالكرامة بقدر ما يعول عليها الصّوفي أو من يضع ثقته فيه لتصنع أحداث التّاريخ والفعل فيه، قد نعوّل عليها في أداء دور آخر هو صياغة وصناعة التّاريخ باعتباره معرفة وعلما، بل وتُمكّن من تفسيره كذلك.

إنه عمل إثنوغرافي مهم، يحفر في أركيولوجيا المعيش اليومي للإنسان القروي بحوز مراكش وأعمالها، إن يشبه أعمال الرّحالة الأوائل من الأوربيين، يشبه وبقدر من الغنى الأعمال المونوغرافية لرواد الأنثربولوجيا الاستعمارية لإدموند دوتي وشارل دو فوكو وليفي بروفنسال وغلان وج. ل. ميج، وجاك بيرك وروبير مونتاني وهوداس وهنري تيراس وميشوبلير والتي يصير فيها للبادية والضواحي تاريخ، ومنزلة يمكن أن تُسرد وقائعها وتُروى أحداثها، وتستأثر وقائعها بالاهتمام ففضاءه الدّوار والهامش قد يكون أكثر غنى من باقي الفضاءات التي قد تكون غنية فقط بالصّخب، وليظهر كتاب **التّسلي** في بساطته عند حديثه عن الهامش الذي تمثله تجاربه في القرى المغربية، باعتباره كتابا ونصًّا عن حياة تعتلج بالحركة وتفيض بالتّجارب كعمل

يرمم النّقص الذي يعتري ذاكرة المغربي في حق تاريخه القريب وفي حق باديته الغنية بالأحدث الاجتماعية والثقافية.

ومن هذا الغنى يظهر من الحكايا التي تكوّن سيرة محمد الغجدامي أن إنسان المغربي في البادية المغربية لهذه لفترة، لم يكن يحيا حياته داخل نسق فضائي مغلق هو فضاء الجبل البربري أو السّهل العربي، وإنما ضمن فضاء اجتماعي وثقافي مفتوح على لغتين يُكمّلان بعضهما، وقد لعب طالب القرآن أو فقيه الشّرط دورا محوريًا في خلق فُرجٍ للحوار بين المجالين، بطلبه للعلم والقراءات، وأيضا بطلبه للشرط في كذا قرية عربية وكذا قرية أمازيغية، حيث تكثر نماذج الطّلبة المحسوبين على اللّسان الأمازيغي الذي يطلبون الشّرط في قرى عربية والعكس في تواصل دائم يبقى فقيه الشرط أحد أهم قنواته.

11- التّسلي والتّأريخ للقرية المغربية:

ألا تكون قضية أحمد التّوفيق ابن القرية الأطلسية ومستوطن عاصمة المغرب منذ القرن الماضي، في حضور البادية والقرية واختراقهما لأعماله، إنما هي في الحقيقة، قضية التّادلي هذا الضارب في جذور البداوة، والذي استوطن عاصمة مغرب القرن السّادس، قضية ومَهمّة تتصل بإبراز ظاهرة الصّلاح مقابل ظواهر أخرى مستفحلة خاصة في المدينة الموحدية المزامنة لابن الزيات، أو لربما مَهمّة إظهار مدينة محددة بين مدن أخرى، وهما المَهمتان اللتان تشكلان لدى أحمد التّوفيق وجهين «لواقع واحد هو استفحال العمران في مراكش خلال النّصف الثاني من القرن السّادس الهجري وما صاحبه من العواقب المتناقضة المترتبة عنه بالضّرورة»[93]، وهو

[93]. التّشوف، ص. 13.

نفس الأمر الذي أعلن عنه أحمد التّوفيق في بوحه الذي يعلن عن نفسه في آخر فصل من روايته **والدٌ وما ولدَ: طفولة في ظل السفح** عن هجوم طِباع وعادات أهل المدينة وانقضاضها على قريته الصّغيرة إمَرِغْن.

ينسج لنا نصّ **التّسلي** أيضًا، لا العلاقة التي كانت تجمع بين النّاس، وإنما العلاقات التي كانت موجودة بين الدّواوير والمداشر المغربية والمدن، وطبيعة العيش اليومي، وعلاقات التّواصل التي تعيشها القبائل فيما بينها عربية كانت أو بربرية، ويصف لنا رهانات الإنسان العادي وحاجاته وأحلامه، إنه تاريخ آخر غير التّاريخ المخصص للمراكز الحضرية، بل تاريخ الأحواز والهوامش أي البوادي والقرى المغربية التي اعتنى بها جيدا التّوفيق عبر تحقيقاته[94] ورواياته[95]، ودراسته الموسعة عن قبيلة إينولتان.

ففي أعماله كلها يحضر لهامش وتحضر والغابة والبادية والجبل سكن «قطب المغرب» و«قنديل جبالة» مولاي عبد السّلام بن مشيش الذي لم يقبل أحمد التّوفيق بقاء كتاب متكامل عنه بالفرنسية، وهو كتاب المرحومة زكية زوانات، فألزم نفسه بترجمته. الجبل أيضا مسار سفر أبي يعزى الذي حقق أحمد التّوفيق له ولأشباهه كتابا كبيرا هو **التّشوف**، وحقق لأبي يعزى نفسه كتابًا مفردًا هو **دعامة اليقين**، أبو يعزى الذي فرض على أهل المدينة أن يتجشموا عناء

[94]. **التّشوف إلى رجال التّصوف**، لابن الزيات التّادلي، (تحقيق)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرّباط، صدرت في طبعتين، ط2، 1988.

. **مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السّائبة والجبال**، لمحمد الكيلي (تحقيق)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطّبعة الأولى، 1997.

[95]. أحمد التّوفيق، **شُجيرة حناء وقمر**، دار القبة الزرقاء، سلسلة جواهر الأدب (2)، مراكش، الطّبعة الأولى، 1998.

السّفر من كل المدن المغربية لزيارة معقله في الغابات والمفاوز[96] مثله في ذلك مثل سيدي شيگر ومولاي عبد السّلام بن مشيش ذي النّفوذ الواسع[97] في قمة جبل العلم «فلا البعد ولا صعوبة الطّريق تثبط عزائم مئات من مشاهير القاصدين الذين يهبون إليه من مختلف بقاع العالم»[98]. وحتى حينما ينهزم الولي أمام الجبل بأن يثأر من الشّيخ المكابد أبي يعزى بأن أحرق قدمه بالثّلج، غير أنه سرعان ما انحاز إلى السّهل ليجمع للغلب عدّته، ثم عاد إلى الجبل فهده، بأن أبلى له الجبل أسراره[99].

وكأن بالتّوفيق يريد أن يعيد أذهان النّاس إلى تجربة أبي يعزى بنقل تاريخ القرية والجبل عبر كل القنوات الأكاديمية الممكنة: دراسات، وتحقيقات، وكذا القنوات لتخييلية الممكنة أيضا، ففي الجبل يصير أبو يعزى بركان معرفة متوقد يشرح بتدبُّر غوامض قوامس بأكمله[100]. أبو يعزى هذا البدوي المفرط في بداوته والذي فرض على أهل المغرب قاطبة على أن يقدموا بين يدي اسمه كلمة «مولاي» تعزيزا وتعظيما له، الشّيء الذي قد يكون أغار صدر فاسي ضارب في جذور التّمدن، ينتمي لأحد بيوتات فاس، ليكتب عن سيد غابة تاغيا رسالة غريبة في جو ثقافي وديني عُهد عليه تقدير الشّيخ، جو تعهُّد اسم أبي يعزى وذكراه بالرسائل والكتب

[96]. «تقصده الرّكبان، وتشد إليه الرّحال [...] ولا يمر القاصدون إليه بقبائل الطّريق أو موضع أو دار تَلَقوهم وضَيَّفوهم؛ لأنهم أضياف الشّيخ. ومسجده غاص على الدّوام، من النّاس من ينام فيه، ومنهم من ينام خارجه أو بعيداً عنه. كانوا يأتون على الخصوص من سوس ورجراجة وفاس ومكناس وسبتة، فيهم العوام العُلماء والتّجار، منهم من يعود بدعاء واستجابة ومنهم من يعود بطعام مرقى، ومن يعود بشعرة من رأس الشّيخ [...] وداع ذات مرة وقد أخذ الحاضرون في نتف شعر الشّيخ حتى أفنوه، وقطعوا جلد رأسه وهو لا يتحرك» نقلا أحمد التّوفيق، «التّاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى»، م م، ص.88.

[97]. ابن مشيش، شيخ الشّاذلي، زكية زوانات؛ ترجمة: أحمد التّوفيق، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2006، ص.2.

[98]. ابن مشيش، شيخ الشّاذلي، زكية زوانات؛ ترجمة: أحمد التّوفيق، الدار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2006، ص.1.

[99]. أنظر **مواهب ذي الجلال**، ص.19.

[100]. أحمد التّوفيق، التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، **ضمن التّاريخ وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص.90.

والتراجم التي تخبرنا بمقامه وأحواله مع ربه، رسالة سماها «**الاستهزا بمن زعم الشّرف للشيخ أبي يعزى**»[101]. أبو يعزى الذي يختصر أحمد توفيق القول عنه بالقول: «(لقد) حَوّل إليه قبلة عدد من المدن الذين يأوون إليه استعصامًا من مدلهم الحوادث»[102] أبو يعزى هذا الأعجمي الأمي الظّاهرة الذي تتلمذ على يديه «النّاس من مختلف الآفاق والطبقات من سبتة إلى أقاصي سوس»[103]، أبو يعزى الذي يقول عنه اليوسي بأنه أحد الثّلاثة الذين يحكمون المغرب بعد موتهم إلى جانب أبي العباس السّبتي الذي حقق له التّوفيق أهم عمل عنه، وإلى جانبهما الشّيخ زروق رغم مدفنه بعيدا من المغرب في صحراء برقة.

وكأن دور أحمد التّوفيق هو في أن يُعيد للقرية والجبل موطن أبي يعزى[104] صيتهما الذي عرفاه مع صوفية ومجاديب فرضوا نماذجهم على المدينة كحكيات صارت هي المتداول اليومي، وغدت أنموذجا حقيقيا لا للتدين فقط، بل وطريقة خاصة للعيش أيضاً، وطريقة في السّلوك اليومي فالجبل مثلا الذي يقع عليه ضريح ابن مشيش والذي ليس ضريح رجل تقدره الجماهير وإنما هو «أكثر من ذلك مكان يوحي بقدسية في حد ذاته، فهو من المراكز الرّوحية المعينة على التطهر»[105] إن الجبل قد يتخذ كشكل من أشكال الجغرافيا المقدسة، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان موضع تأمله في غار في ناصية جبل.

---

[101]. العزفي، **دعامة اليقين**، ص. ط.

[102]. أحمد التّوفيق، التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، **ضمن التّاريخ وأدب المناقب** الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص.87.

[103]. **دعامة اليقين**، ص. ز.

[104]. أحمد التّوفيق، التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، **ضمن التّاريخ وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص. 86.

[105]. ابن مشيش، شيخ الشّاذلي، زكية زوانات؛ ترجمة: أحمد التّوفيق، الدار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2006، ص. 5.

يبقى التّوفيق رجلا مهوسًا بالبادية، متعاطفًا معها، يصبو نحوها بشوق طفولي، ومنشغلا بها، لأنها أصل له، حتى وإن رابط طويلًا في الرّباط المدينة العاصمة، فالفتى دومًا يحن لأول منزل الذي قد يكون أحمد التّوفيق رأى فيه كنز طفولته الذي غالبا ما يتركه الأب الصّالح، والذي قد يتدخل شخصيًّا لحراسته رجل أشبه بملاك، قيل فيه إنه نبي، وقيل إنه كان رجلا صالحًا، ويقف على الأمر أيضا كليم الله ونبي من أولي العزم[106]، حتى يكبر الولد كما في إحدى **القرآن الكريم**، أو حتى يشبع الولد من تغريبة العمر، ويفهم دروس الحياة جيدا، وتحين ساعة أوبته[107]، كما في قصة **ألف ليلة وليلة**.

---

[106]. يقول الخضر مجيبًا النّبي موسى عليه السّلام، عن تساؤلاته أمام المشاهد رحلته مع العبد الصّالح: «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك».

[107]. الإحالة هنا على القصة التي ينقلها لنا خ. ل. بورخيس في «حكاية الحالمين» يقول: «يروي المؤرخ العربي الإسحاقي هذه الواقعة : يحكي رجال ثقات (والله وحده العليم القدير الرّحمن الذي لا تأخذه سنة ولا نوم) أنه كان بالقاهرة رجل ذو ثروات، وكان مبسوط اليد متحرراً فأضاعها جميعاً عدا بيت أبيه. واضطر إلى العمل لكسب قوت يومه، فأُرهِقَ حتى فاجأه النّوم ذات ليلة تحت تينة بحديقته، فرأى في المنام رجلاً مبتلاً يخرج من فمه قطعة نقود من ذهب ويقول له : «ثروتك في فارس بأصفهان، فاذهب وابحث عنها»، استيقظ الرّجل عند الفجر الموالي، وشرع في السّفر الطّويل، فواجه أخطار الصحاري، والسفن، والقراصنة، وعبدة الأوثان، والأنهار، والسباع، والرجال. ووصل إلى أصفهان أخيراً، لكن الليل داهمه عند سورها فاضطجع للنوم في باحة مسجد. وكانت بجوار المسجد دار، فشاءت حكمة الله أن تعبر المسجد عصابة لصوص وتدخل الدار. واستيقظ القوم النّائمون بفعل جلبة اللصوص، واستغاثوا، وصرخ الجيران أيضاً إلى أن اتجه ضابط عسس تلك المنطقة هو رجاله إلى المكان، ففر اللصوص بجلودهم عبر السّطح. أمر الضابط بتفتيش المسجد فعثر فيه على الرّجل القادم من القاهرة، فأشبع ضرباً بهراوات الخيزران حتى كاد أن يهلك. بعد يومين، استعاد الرّجل وعيه بالسجن، فاستدعاه الضابط وقال له: (من أنت ومن أي أرض جئت ؟) أعلن الآخر : (إنني من مدينة القاهرة الشّهيرة، واسمي محمد المغربي). سأله الضابط: «ماذا أتى بك إلى فارس ؟». فاختار الآخر جانب الصراحة، وقال له: «أمرني رجل في المنام أن آتي إلى أصفهان، لأن بها ثروتي. أنا الآن في أصفهان وأرى أن الثروة التي وعدني بها قد تكون الضرب الذي أشبعتني إياه». لم يتمالك الضابط نفسه، إزاء هذا الكلام، من الضحك حتى برزت أضراس رشده، ثم ختم قائلاً: «أيها الرّجل الأخرق السّريع التصديق، لقد حلمت ثلاث مرات بدار في مدينة القاهرة، في قاعها حديقة، وفي الحديقة ساعة شمسية، ووراء السّاعة الشّمسية تينة، ووراء التينة عين ماء، وتحت عين الماء كنز. بيد أني لم أصدق هذه الأكذوبة. أما أنت، يا نسل نكاح البغلة والشيطان لا ريب، فخرجت تائهاً من مدينة إلى مدينة، لا يدفعك إلا إيمانك بحلمك. لا أريد أن أراك بعد الآن في أصفهان. خذ هذه النّقود وامض (...)».

ولهذا ظلّ منتبها لمسألة الأصل البدوي، محاولا قدر ما تسعفه المقدرة على التّدقيق في أسماء الدّواوير والقرى البسيطة، لهذا يضع لها في تحقيقاته خرائط ويستميت في وضع أسمائها جنبا إلى جنب بإزاء فاس ومراكش وسجلماسة، فتحضر القرية كمركز خطير في خريطة المغرب، حيث تصير قرية أركان مركزا للمغرب كله، قرية أحسن اختياره أبو يعزى جيدا لتكون مقام «متوسطا بين حاضرتي فاس ومراكش بوتقتي حضارة يستفحل قيامها على فروض الطّاعة وصناعة المناظرة»[108]، ويأبى التّوفيق في تحقيقه **لدعامة اليقين** إلا أن يحيط قرية الولي الأعجوبة

أخذ الرّجل النّقود، وعاد إلى وطنه. ومن تحت عين ماء حديقته (التي هي عين حلم الضابط) أخرج الكنز الدفين. **هكذا باركه الله وأجزاه و أثنى عليه. أن الله كريم، لا تدركه الأبصار**». من كتاب (**ألف ليلة وليلة**، اللّيلة 351)»، (نقلا عن خ. ل. بورخيس، **المرايا والمتاهات: قصص**، ترجمة إبراهيم الخطيب، الدّار البيضاء: دار توبقال، 1987، ص. 14. 15.).

والقصّة أعلاه هي نفسها الحكاية التي يختطفها باولو كويلهو من بورخيس أو لربما من شهرزاد في روايته **الخيميائي** مع قصة راعي الغنم الإسباني سانتياغو الذي هو الآخر يحلم بكنز عند أهرامات الجيزة، فينساق إلى البحث المضني عنه، والمثير بما يعترضه من مخاطر وغرائب، إلى أن يصادف عصابة لصوص فيوسعونه ضربا ويضطرونه للحفر، دون أن يحفل بشيء فيسخر رئيس العصابة من هذا الرّاعي السّاذج والغبي، بأنه هو أيضا حلم بنفس الحلم مرتين، حلم بكنز مدفون عند شجرة بقرب كنسية يتردد رعاة الأغنام عند ظلها، غير أنه ليس بغباء سانتياغو ليسافر كل هذه المسافة ليظفر بكنز قد يكون الشّيطان من أملاه عليه. وات القصة وبذات الحبكة تتكرر عند شهرزاد حيث «يحكى أن رجلا من بغداد كان صاحب نعمة ومال كثير، فنفد ماله وتغير حاله وصار لا يملك شيئًا ولا ينال قوته إلا بجهد جهيد، فنام ذات ليلة وهو مغمور مقهور فرأى فى منامه قائلا يقول له: «إن رزقك بمصر فاتبعه وتوجه إليه»، فسافر إلى مصر فلما وصل إلى مصر أدركه المساء فنام فى مسجد، وكان بجوار المسجد بيت، فقدر الله تعالى أن جماعة من اللّصوص دخلوا المسجد وتوصلوا منه إلى ذلك البيت، فانتبه أهل البيت على حركة اللصوص وقاموا بالصباح فأغاثهم الوالي بأتباعه فهربت للصوص، ودخل الوالي المسجد فوجد الرّجل البغدادى قائما فى المسجد، فقبض عليه وضربه ضرباً.

وقال له: «من أى البلاد أنت. «قال :»من بغداد». قال له : «وما حاجتك التى هى سبب فى مجيئك إلى مصر ؟» قال: «إنى رأيت فى منامى قائل يقول لي: «إن رزقك بمصر فتوجه إليه . فلما جئت إلى مصر وجدت الرّزق الذى أخبرنى به تلك المقارع التى نلتها منك». فضحك الوالى حتى بدت نواجزه وقال له: «يا قليل العقل، أنا رأيت ثلاثة مرات في منامي قائلا يقول لي: «أن بيتًا في بغداد بخط كذا ووصفه كذا، بحوشة جنينة تحتها فسقية بها مال عظيم، فتوجه إليه وخذه، فلم أتوجه، وأنت من قلة عقلك سافرت من بلدة إلى بلدة من أجل رؤيا رأيتها وهى أضغاث أحلام؟» ثم أعطاه دراهم وقال له: «استعن بها على عودتك إلى بلدك». فأخذها وعاد إلى بغداد، وكان البيت الذي وصفه الوالي ببغداد هو بيت ذلك الرّجل، فلما وصل إلى منزله حفر تحت الفسقية، فرأى مالًا كثيرًا، ووسع الله عليه رزقه، وهذا اتفاق عجيب. سبحان الرّزاق.»

[108]. التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن **التّاريخ وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص. 86.

أبي يعزى التي بها داره المفرطة البساطة[109] بدائرة كبيرة تميزها عن باقي المدن المهمة، ويمعن في بيان قيمتها بأن يحيطها بأسماء الحواضر المهمة، دون أن يكون لبعضها دور، ولا حضور في النّص المحَقق، وتحضر في خرائط **التّسلي** قبائل بسيطة بدواويرها الأكثر بساطة وبدورها البسيط في تاريخ المغرب بالمقارنة مع قبائل تاريخية أخرى، في محاولة لتنبيه على المهمش والمهمشين في التّاريخ المغربي. وفي خريطة **التّشوف** الجامعة المانعة، كتاب **التّشوف** الذي يأبى أحمد التّوفيق إلى أن يشير إلى أصله البدوي بأن يكتب عنه الملاحظة التي قد لا تهمنا في شيء غير أنها تعني للتوفيق أكثر من شيء فيقول عن ابن الزيات «فالمؤلف (...) ضارب بأصله في أعماق البادية»[110]. ولهذا كان تتبعه الميداني عبر أسفار كثيرة في أحواز مراكش ومرابطته عند قراها، باحثا عن أسمائها الحقيقية التي لم يضبطها بشكل صحيح أدولف فور.

إذ كانت أسماء الأمكنة سببا دعا المحقق لإعادة تحقيق **التّشوف** من جديد وإعادة انتشاله من مستنقع الأسماء الفجة والمشوهة، في غيرة توفيقية أخرى على القرية، غيرة تبدأ بزيادة حرف أو نقصانه في اسمقرية إندرست ذكراها، غير أن التّوفيق يجدد ذكرها، ويرفض لها أن تنسى، فأديب وصوفي ومؤرخ كالتّوفيق بالتأكيد ينطلق في كل عمل من أعماله لا من أسباب علمية صرفة، بل من هواجس نفسية ودواعي سيكولوجية، قد تكون الشّفقة إحداها، فأن يحز في قلبك نطق غير سليم لاسم شخص أو غلط بسيط في نطق أحرف قرية، فتلك شفقة خاصة، يواكبها تأدب خاص، وكرامة خاصة، يمثلها غوستاف فلوبير حينما يقول عن الفاصلة أحد أفراد أسرة «علامات التّرقيم»: «بالنسبة لي، فأجمل امرأة في العالم، لا تساوي فاصلة موضوعة في محلها»، هذا الجملة التي ذهب بها سيوران إلى أبعد حد حينما صرّح لنا عن حلُمه بعالمٍ يموتُ

[109]. التّاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن **التّاريخ وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989، ص. 87.
[110]. **التّشوف**، ص. 18.

فيه ونموت جميعا من أجل فاصلة. فرغم أن التّصحيفات التي شملت أسماء الأماكن والأشخاص لا يتورع التّوفيق في وصفها بأنها مما يوهن قرن الوعل[111]، غير أنه لم يتمالك نفسه إلا أن يعيد تحقيق التّشوف بطريقة يستحقها هذا الكتاب المهم ليتحمل عناء البحث الميداني والتحري المكاني والحفر الجينيالوجي والفيلولوجي ليستغرق منه السّفر يومه باحثا عن حركة في اسم أو حرف ساقط منه في لغته الأصل: عربية أو صنهاجية أو مصمودية أو زناتية ولكن بلغة مضبوطة.

إن الشّفقة أعلاه على القرية ربما هي قادته إلى أن يجعل دروس ابراهيم بوطالب أكثر دروس تأثر بها والتي كانت عن الفيودالية[112] والتي كان مجالها عن الضيعة والقرية، والتي بالتأكيد أن أغلبنا قد قرأ شطرا صالحا عن تاريخ الفيودالية وقلبه كان يميل إلى هؤلاء الأقنان القرويين والمساكين، ولا يجد التّوفيق من قصص جرمان عياش يرويها لنا والتي قرأ جرمان على التّوفيق غير قصة الفلاح الصّغير ببركان والذي نُكّب من جراء مشروع الرّي[113].

إلى هنا ووجب التنبيه إلى أن أحمد التّوفيق حتى حينما يود أن يحقق كتاب **مواهب ذي الجلال عن البلاد السّائبة من البوادي**، ليست قضية «هبة بنات القبائل» هي ما يستهويه كتيمة لم يسبق لها، لأنها قضية مطروقة قبلا في كتب الفقه والنوازل، غير أهميته له بالنسبة للتوفيق هي كون الفقيه الكيكي يتكلم عنها في سياق لا عصره فقط، وإنما في حدود قريته الجبلية ومن زاوية عمله فيها وكل ذلك بكل حرارة وجرأة[114].

---

111. **التّشوف**، ص. 5.

112. شهادة أحمد التّوفيق، ص. 83.

113. **نفسه**، ص. 83.

114. **نفسه**، ص. 83.

ليست خاتمة:

وما دامت إعادة القراءة، وليس القراءة هي ما يهم، بحسب خ. ل. بوخيس، فإنا هنا، عند وضع نهاية لها القول، نقدم وعدا بالعودة لقراءة نصّ **التسلي** لكن من زوايا أخرى، وبعنوان آخر، يكشفان قيمة هذا النّص، التاريخية والإنسانية، لنشترك مع أحمد التّوفيق في مكافئة مُؤلف النّص ونتجاوزه إلى مكافئة محققه، مكافئة هي جزء يسير عن صنيعه نحو هذا التراث، بأن تكون قراءتنا، **مرآة** له وللعمل، ما دام يستحيل على المؤلف أن يُقدّم قراءات لعمله بالنّيابة عن قُرّائه، أو أن يُعِدَّ ورقة نقدية لمكتوبه، مثلما لا يمكن له، نهائياً، أن يعتلي شُرفةً ما، ليرى نفسهُ مارّاً في الشّارع، كما عبّر عن ذلك أوغست كونت في سياق آخر.

بيبليوغرافيا أحمد التّوفيق:

1. كتب:

ـ **المجتمع المغربي في القرن التّاسع عشر، إينولتان 1850-1912**، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 1983.

ـ **بعض جوانب تاريخ المغرب الاجتماعي في القرن 19: إينولتان من 1850 إلى 1912**، أحمد التّوفيق، دبلوم الدّراسات العليا: الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية: 1976.

ـ **الإفتاء والتّاريخ: قضية المرجع الديني في النقاش حول التّنمية في الإسلام**، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 1441 هـ، 2019 م.

ـ **في تاريخ المغرب**، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2019.

2. تحقيقات:

ـ محمد الغجدامي، **التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات**، تقديم وتحقيق أحمد التوفيق، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة)، 2019.

ـ **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تأليف محمد بن الطّيب القادري، تحقيق محمد حجي، أحمد التّوفيق، الرّباط: مكتبة الطّالب، 1977ـ1986.

ـ **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2010.

ـ **دعامة اليقين في زعامة المتقين: مناقب الشّيخ أبي يعزى**، الرّباط: مكتبة خدمة الكتاب، إيداع 1989.

ـ **مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السّائبة والجبال**، محمد بن عبد الله الكيكي؛ تحقيق أحمد التّوفيق، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

ـ **عبد الرّحمان بن زيدان**، عباس الجراري، سعيد بنسعيد العلوي، أحمد التّوفيق، الدّار البيضاء: مؤسسة أونا، إيداع 1998.

3.روايات:

ـ **السّيل**: رواية، الرّباط: دار الأمان، 1998.

ـ **غريبة الحسين**، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2000.

ـ **غريبة الحسين**، الدّار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2018.

ـ **شجيرة حناء وقمر**، مراكش: دار القبة الزرقاء، 1998.

ـ **جارات أبي موسى**، الدّار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2017.

ـ **والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل**، الدّار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009.

ـ **والدٌ وما ولدَ: الطّريق إلى المدينة**، الدّار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2014.

4.دراسات:

ـ العلاقات بين المغرب ودول غرب إفريقيا، إفريقيا كأفق للتفكير: الدّورة 43 لأكاديمية المملكة المغربية، الرّباط، 8-11 دجنبر 2015، 25-28 صفر 1437. الرّباط: أكاديمية المملكة المغربية، 2016.

ـ ملاحظات وتساؤلات بصدد تكون الدّولة المغربية، آفاق: مجلة دورية، ع. 58، 1996، الرّباط: اتحاد كتاب المغرب، 1963.

ـ على لسان المسجد الأعظم بسلا، ضمن أعمال الذكرى الألفية للمسجد الأعظم بسلا، جمعية أبي رقراق ووزارة الأوقاف، مطبعة الكرامة، الرباط، 2004.

ـ مقدمة لقراءة أسوار المدن، الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الثقافي، مطبعة المناهل، الرباط.

ـ العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية من خلال كتابي تاريخ الفتّاش وتاريخ السودان، ضمن «العلاقات بين المغرب وإفريقية الغربية» منشورات جمعية موظفي كلية الآداب بالرباط، 1987، ص 13. 21.

ـ صلحاء وسلاطين: دينامية السّلطة في المغرب قبل الحماية، وقفات في تاريخ المغرب دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001.

ـ ابن جزي، كاتب رحلة ابن بطوطة، المناهل. ع. 60، 2000، ص. 179ـ189، الرّباط: وزارة الدّولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

ـ عودة إلى البحث في ظروف انفتاح المغرب الأقصى للإسلام، المحلي والشمولي في كتابة التّاريخ الاجتماعي: أعمال مهداة للعربي مزين. الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012.

ـ الشعور الوطني عند المغاربة عبر التّاريخ، نصّ الدّرس الذي ألقي في إطار الدّروس الحسنية لشهر رمضان، في يوم الخميس 2 رمضان 1434 هـ الموافق لـ: 11 يوليوز 2013 م، الدّروس الحسنية. - 2013، ص. [13]-33. الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ـ النسب الشّريف والسند الصّوفي في تاريخ المغرب، الدّروس الحسنية . 2002، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383 هـ.[1963؟].

ـ الإفتاء والتاريخ، المجال، ضمن التّراب والمجتمع بالمغرب: تحولات، ديناميات ورهانات: أعمال مهداة للأستاذة رشيدة نافع، تنسيق محمد ازهار، عبد الحميد ابن الفاروق، أسماء بوعوينات...[وآخرون] المحمدية: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، 2019.

ـ التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، التّاريخ وأدب المناقب الرّباط: منشورات عكاظ، 1989.

ـ قضية الأستاذ أحمد شحلان: أهمية اللغات القديمة، قراءة في مدونات الشّرق القديم وأعمال الأستاذ أحمد شحلان: أعمال مهداة إلى الأستاذ أحمد شحلان، تنسيق ادريس اعبيزة. الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012.

ـ تعدد زوايا الكتابة في نصّ «والدٌ وما ولدَ» للأستاذ أحمد توفيق: طفولة في سفح الظّل أقضاض، محمد (1949-....)، آفاق: مجلة دورية. ع. 81-82، 2012، الرّباط: اتحاد كتاب المغرب، 1963.

ـ المسلم بين الإفتاء والتاريخ، المسلم في التّاريخ: ندوة: أعمال الدّورة الثانية المنعقدة في الدّار البيضاء أيام 25، 26، 27 مارس، تحت إشراف عبد المجيد الشّرفي، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 1999.

ـ التزام المغاربة بالمذهب المالكي ووفاؤهم لأصوله، الدّروس الحسنية. 2010، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383هـ.

ـ المغرب ومصر في إشكالية النّظر إلى الآخر، العلاقات المغربية المصرية التّكامل الثقافي والفني بين مصر والمغرب: [أعمال] النّدوة الثالثة [المنعقدة] من 6 إلى 8 يوليوز 1992. سلا: جمعية أبي رقراق، [1993؟].

ـ الثوابت الدّينية للمملكة المغربية وجذورها في عمل السّلف الصّالح، نصّ الدّرس الذي ألقي بحضرة أمير المؤمنين الملك محمد السّادس، في إطار الدّروس الحسنية لشهر رمضان، في يوم الثلاثاء 4 رمضان 1433 هـ الموافق لـ: 14 يوليوز 2012 م. الدّروس الحسنية. 2012، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383 هـ.[1963؟].

ـ البحث في التّراث بوصفه منطلقا لتنمية العلاقة بين العرب والأفارقة، العالم العربي وإفريقيا تحديات الحاضر والمستقبل: أعمال النّدوة التي نظمت بالرباط احتفاء بها عاصمة للثقافة العربية 2003، أيام 15، 16، 17 أكتوبر 2003 = Le monde arabe et l'Afrique: défis du présent et de l'avenir: [travaux] de la conférence [tenue] les 15 et 16 octobre 2003 à Rabat pour sa célébration comme capitale de la culture arabe 2003. الرّباط: وزارة الثقافة، 2005.

ـ إسهام النّساء في بناء ثقافة الإسلام الرّوحية، الدّروس الحسنية. 2016، الرّباط: وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، 1437 هـ، 2016.

ـ تدبير العلاقة بين السّياسة والدين، الدّروس الحسنية. 2004، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383 هـ.[1963؟].

ـ محمد بن يوسف والمعتقد الشّعبي حول السّلطان في المغرب، محمد الخامس، الملك الرّائد [أعمال] النّدوة الدّولية التي [نظمت] من 16 إلى 20 نوفمبر 1987 بالرباط. الرّباط: جمعية رباط الفتح، 1987.

ـ حماية الملة والدين وآليتها في المملكة المغربية، نصّ الدّرس الذي ألقي بحضرة أمير المؤمنين الملك محمد السّادس، في إطار الدّروس الحسنية لشهر رمضان، في يوم الثلاثاء 3 رمضان 1435 هـ الموافق لـ: 1 يوليوز 2014 م.

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من هدي القرآن إلى وازع السّلطان، الدّروس الحسنية. 2003، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383 هـ.[1963?].

ـ «الطالب» في اللغة والاصطلاح بالمغرب، الشّخصية المغربية أعمال مهداة إلى الأستاذ محمد أبو طالب. الرّباط: الجمعية المغربية للتراث اللغوي، 2003.

ـ هوية المغرب الثقافية، الدّروس الحسنية. 2001، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383 هـ.[1963?].

ـ النصيحة شرط في البيعة: عمل علماء المغرب، ماضيا وحاضرا، الدّروس الحسنية. 2009، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383هـ.[1963?].

أبو العباس السّبتي ومذهبه في التّضامن والتوحيد، الدّروس الحسنية. 2015، ص. 13-29. الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383 هـ[1963?]

ـ أبو العباس السّبتي «سيدي بلعباس»، الدّكتور حسن جلاب. [ويليه أبو العباس السّبتي ومذهبه في التّضامن والتوحيد]، د. أحمد التّوفيق، مراكش: منشورات الملتقى، 2015، (مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية).

ـ الأبعاد التّعاقدية للبيعة في تاريخ المغرب، نصّ الدّرس الذي ألقي في إطار الدّروس الحسنية لشهر رمضان، في يوم الخميس 3 رمضان 1432 هـ الموافق لـ: 4 غشت 2011 م، الدّروس الحسنية. 2011، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1383 هـ.[1963؟].

ـ اليهود في المجتمع المغربي في القرن التّاسع عشر: نموذج يهود دمنات، هوية وحوار التّاريخ الحديث والمعاصر ليهود المغرب. الرّباط: دار السّتوكي، 1982.

ـ جرمان عياش في أسى فجيعتين، جريدة العلم، 2. 5. 1990.

ـ نحو تهييئ متحف تراثي بأبي الجعد، مدينة أبي الجعد: الذّاكرة والمستقبل: [أعمال] النّدوة [المنعقدة] بتاريخ 13-14 ماي 1994، نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية التّابعة لجامعة محمد الخامس بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة أبي الجعد، الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1995.

ـ تأملات في البيعة الحفيظية، المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912: الجامعة الصّيفية، يوليوز 1987، المحمدية، من 24 ذي القعدة إلى 4 ذي الحجة 1407، موافق 21-31 يوليوز 1987. [د.م.: د.ن.]، 1987 (المحمدية: مطبعة فضالة).

ـ حول الطّوبونيميا والتاريخ في المغرب الشّرقي، المغرب الشّرقي بين الماضي والحاضر الوسط الطّبيعي، التّاريخ، الثقافة: [أعمال] النّدوة [التي عقدت] أيام 13، 14، 15 مارس 1986 = Le Maroc oriental: passé et présent: le milieu naturel, l'histoire et la culture: actes. وجدة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إيداع 1988.

ـ سؤال إلى أبي بكر القادري حول السّلفية والصوفية في الحركة الوطنية، مسيرة وآفاق النّضال الوطني [أعمال] النّدوة التّكريمية للأستاذ المجاهد أبو بكر القادري الإنسان والمربي والسياسي [المنعقدة] بتمارة، 1999. تمارة: بيت آل محمد عزيز الحبابي، 1999.

ـ من رباط شاكر إلى رباط آسفي، أبو محمد صالح المناقب والتاريخ: [أعمال الملتقى العلمي الثاني المنعقد بمدينة آسفي]. الرّباط: النّشر العربي الإفريقي، 1990.

ـ من مصادر تاريخ الدّولة العلوية في فرنسا، أحمد التّوفيق وابراهيم بوطالب، ضمن أعمال الدورة الأولى لجامعة مولاي علي الشّريف، 1990.

ـ البحث التاريخي بالمغرب، فعاليات الأسبوع الثقافي المغربي بالرياض، تعاون مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء ومكتبة الملك عبد العزيز بالرياض، ضمن دراسات مغاربية، ع 19، 2005، ص ص 7.8.

ـ خزائن كتب الزوايا بالمغرب، المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي وضعية المجموعات وآفاق البحث: [أعمال النّدوة التي عقدت أيام 7، 8، 9 أبريل 1988، الدّار البيضاء] = Manuscrits arabes en Occident musulman: état des collections et perspectives de la recherche: [actes du colloque tenu les 7, 8 et 9 avril,

Casablanca à 1988. الدّار البيضاء: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، إيداع 1990.

ـ تاريخ المغرب في القرن التّاسع عشر: أفكار في التّحقيب، المشروع: من أجل توطيد الفكر الاشتراكي، ع 9، 1988، الدّار البيضاء: دار النّشر المغربية، 1989-1980.

ـ تقديم وعرض وثائق غير منشورة عن تجارة المغرب، التّجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب أعمال النّدوة [المنعقدة] أيام 21، 22، 23 فبراير 1989. الدّار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشّق، 1992.

ـ العلاقات بين المغرب و إفريقيا الغربية من خلال كتابي « تاريخ الفتاش» و «تاريخ السّودان»، العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية أعمال النّدوة [المنعقدة] بالرباط في إطار أيامها الثقافية سنة 1987. الرّباط: منشورات عكاظ، 1992.

ـ حول معنى اسم طنجة، طنجة في التّاريخ المعاصر، 1800-1956 [أعمال الملتقى العلمي الأول لمدينة طنجة، المنعقد من 18 إلى 20 أكتوبر 1990 بطنجة] = Tanger, 1800-1956: contribution à l'histoire récente du Maroc: [actes de la première rencontre scientifique de Tanger, tenue à Tanger du 18 au 20 octobre 1990]. الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إيداع 1991.

ـ حول معنى اسم مراكش، مراكش من التّأسيس إلى آخر العصر الموحدي أشغال الملتقى الأول 1988 [المنظم بمراكش]. مراكش: مركز الدّراسات والأبحاث، 1989. –

ـ حول معنى اسم آسفي، آسفي دراسات تاريخية وحضارية: أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة آسفي، 23-25 يونيو 1988. الرّباط: شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، 1989.

ـ التاريخ في الزمن المعسول أو محمد المختار السّوسي من زمن النّحو إلى زمن التّاريخ، المختار السّوسي الذّاكرة المستعادة: أعمال النّدوة [المنعقدة] أيام 21، 22، 23 دجنبر 1984. الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 1986.

ـ أبو الحسن علي بن سليمان البوجمعوي الدّمنتي ورسالته إلى آفاق الإسلام، في النّهضة والتراكم دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية. الدّار البيضاء: دار توبقال، 1986.

5. حوارات:

ـ الخلافة قائمة بالمغرب في شكل إمارة المؤمنين: [حوار]، [مع] السّيد أحمد التّوفيق؛ حاوراه إسماعيل بلاوعلي مع ياسر الهلالي، زمان: المغرب كما كان. ع. 31، 2016، ص. 29-35. الدّار البيضاء: Two Medias Maroc, 2013 (الدار البيضاء: سي تي بي، إيديال).

ـ حوار مع أحمد التّوفيق، حوار حول الفكر الخلدوني. الدّار البيضاء: دار النّشر المغربية، 1986.

ـ التّاريخ الثقافي والاجتماعي: حوار مع أحمد التّوفيق، أجرى الحوار محمد الصّغير جنجار وإدريس المنصوري، أوراش فكرية حوارات في الدّين واللغة والقانون والتاريخ = Chantiers intellectuels: entretiens sur la religion, la langue, le droit et l'histoire. الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2001.

6. ترجمات:

ـ كتيبي التعاليق على الصور الشفّافة، لمقرر التاريخ والجغرافيا، وزارة التربية الوطنية، المغرب. ترجمة مشتركة مع علي صدقي أزايكو. (أنظر **في تاريخ المغرب**، ص 227.)

ـ مارمول كربخال، كتاب إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر، أحمد بنجلون، دار المعرفة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1984 ـ 1409، 3 أجزاء.

ـ النّخبة المخزنية في مغرب القرن التّاسع عشر، مصطفى الشّابي؛ ترجمة: أحمد التّوفيق، الرّباط: جامعة محمد الخامس، 1995.

ـ ابن مشيش، شيخ الشّاذلي، زكية زوانات؛ ترجمة: أحمد التّوفيق، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2006.

ـ تأسيس مراكش، 462-1070، ليفي بروفنصال؛ ترجمة: أحمد التّوفيق، مراكش من التّأسيس إلى آخر العصر الموحدي أشغال الملتقى الأول 1988 [المنظم بمراكش]. - مراكش: مركز الدّراسات والأبحاث، 1989.

ـ أبلاغ، محمد بن حدو، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج 1، 101.

ـ أحمد بن مبارك، ـــ ـــ، ج 1، 172.

ـ أحمد بن موسى (با حماد)، ـــ ـــ، ج 1، ص 175.

ـ أحنصال، يوسف بن سعيد، ـــ ـــ، ج 1، ص 188.

ـ إدالة، حامية عسكرية، ـــ ـــ، ج 1، ص 220.

ـ إدا وبعقيل (قبيلة)، ـــ ـــ، ج 1، ص 221.

ـ إدا وبلال (قبيلة)، ـــ ـــ، ج 1، ص 221.

ـ إدا وسملال، ـــ ـــ، ج 1، ص 227.

ـ إدا ولتيت (قبيلة)، ـــ ـــ، ج 1، ص 228.

ـ إدا ولحاج (الركيبات)، ـــ ـــ، ج 1، ص 229.

ـ إدا ولوكان (فرقة)، ـــ ـــ، ج 1، ص 229.

ـ إدو ونظيف (قبيلة)، ـــ ـــ، ج 1، ص 230.

ـ إدا إبراهيم (قبيلة)، ـــ ـــ، ج 1، ص 230.

ـ إدا ويعيش (الركيبات)، ـــ ـــ، ج 1، ص 230.

ـ إدار (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 1، ص 254.

ـ أدماي (جبل)، ـــ ـــ، ج 1، ص 284.

ـ أدوال (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 1، ص 285. (باشتراك مع محمد سامي.)

ـ أزكان (جبل)، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج 2، ص 346.

ـ أزكدور، ـــ ـــ، ج 2، ص 346.

ـ أزواك (عرف)، ـــ ـــ، ج 2، ص 367.

ـ إسافن (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 2، ص 380.

ـ أيت إسافن، ـــ ـــ، ج 2، ص 380.

ـ أساكا (واد الصحراء)، ـــ ـــ، ج 2، ص 381.

ـ إسحاق بن ويعزان، ـــ ـــ، ج 2، ص 401.

ـ أسدرم (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 2، ص 404.

ـ أسديف، ـــ ـــ، ج 2، ص 404.

ـ أسامر (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 2، ص 414.

ـ إسين (معدن)، ـــ ـــ، ج 2، ص 457.

ـ أسيف أدودو (واد)، ـــ ـــ، ج 2، ص 456.

ـ أشبار (حصن مراقبة)، ـــ ـــ، ج 2، ص 457.

ـ أصاصاي، إبراهيم بن موسى، ـــ ـــ، ج 2، ص 473.

ـ أصادة (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 2، ص 473.

ـ إغيل (مكان)، ـــ ـــ، ج 2، ص 543.

ـ إفرن (تاريخ)، ـــ ـــ، ج 2، ص 548.

ـ إفركان (السياج)، ـــ ـــ، ج 2، ص 553.

ـ أفوغال (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 2، ص 566.

ـ الإقامة العامة بالجنوب، ـــ ـــ، ج 2، ص 570.

ـ أكادير (تاريخ)، ـــ ـــ، ج 2، ص 591.

ـ إكاساس، ـــ ـــ، ج 2، ص 597.

ـ أكجكال (قرية)، ـــ ـــ، ج 2، ص 601.

ـ أكرامو، سعيد بن سلمان، ـــ ـــ، ج 2، ص 611.

ـ أكشتيم (قرية)، ـــ ـــ، ج 2، ص 616.

ـ إكوت (تكنة)، ـــ ـــ، ج 2، ص 616.

ـ الأكلاوي، عبد المالك ، ـــ ـــ، ج 2، ص 622.

ـ الأكلاوي، علال بن محمد، ـــ ـــ، ج 2، ص 622.

ـ الأكلاوي، عمر بن المدني، ـــ ـــ، ج 2، ص 622.

ـ أكليد (الأمير)، ـــ ـــ، ج 2، ص 624.

ـ أكلمام (أكلمان)، ـــ ـــ، ج 2، ص 624.

ـ أكناو (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 2، ص 630.

ـ إكيسل، ـــ ـــ، ج 2، ص 640.

ـ إماريغن (قرية)، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج 3، ص 673.

ـ إمزوغ (فرقة)، ـــ ـــ، ج 3، ص 756.

ـ أمالك، أحمد، ـــ ـــ، ج 3، ص 684.

ـ أمانوز (قبيلة)، ـــ ـــ، ج 3، ص 685.

ـ أمسطوط، عبد الحق، ـــ ـــ، ج 3، ص 762.

ـ أمسكروض – اداوزيكي، ـــ ـــ، ج 3، ص 762.

ـ ابن أمغار، عبد السلام، ـــ ـــ، ج 3، ص 764.

ـ ابن أمغار، محمد بن اسحاق، ـــ ـــ، ج 3، ص 765.

ـ ابن مغار، يوسف، ـــ ـــ، ج 3، ص 766.

ـ الأمناء، ـــ ـــ، ج 3، ص 786.

ـ إمطر (قرية)، ـــ ـــ، ج 3، ص 800.

ـ إميني (قرية منجمية)، ـــ ـــ، ج 3، ص 802.

ـ أنامر (سفح جبلي)، ـــ ـــ، ج 3، ص 803.

ـ إندعرتيت (تحالف قبلي)، ـــ ـــ، ج 3، ص 820.

ـ الأندلسي، أبو إسحاق، ـــ ـــ، ج 3، ص 825.

ـ إنركي د المونتي، ـــ ـــ، ج 3، ص 831.

ـ أنا (الحُجر)، ـــ ـــ، ج 3، ص 837.

ـ الأنصاري، أحمد بن خالص، ـــ ـــ، ج 3، ص 842.

ـ إنميغرن (مصطلح)، ـــ ـــ، ج 3، ص 868.

ـ أهوكار، ـــ ـــ، ج 3، ص 872.

ـ أهل الحل والعقد، ـــ ـــ، ج 3، ص 872.

ـ أوراغ، صالح (قائد)، ـــ ـــ، ج 3، ص 882.

ـ الأوريبلي، إدريس أورحو، ـــ ـــ، ج 3، ص 891.

ـ الأوريكي عبد الله القرشي، ـــ ـــ، ج 3، ص 895.

ـ أوزليم (حصن)، ـــ ـــ، ج 3، ص 897.

ـ أوصليم (حصن)، ـــ ـــ، ج 3، ص 899.

ـ أوضرضور الباعمراني الحسن، ـــ ـــ، ج 3، ص 899.

ـ أولوز، ـــ ـــ، ج 3، ص 915.

ـ إيمي نيفري، ـــ ـــ، ج 3، ص 939.

ـ إيميدر (وارزازات ـ إقليم)، ـــ ـــ، ج 3، ص 940.

- إيميلي - واد الذهب، ـــ ـــ، ج 3، ص 940.

- إيمينولاون (وارزازات - إقليم)، ـــ ـــ، ج 3، ص 940.

- أيننار (سمك)، ـــ ـــ، ج 3، ص 940.

- إينولتان، ـــ ـــ، ج 3، ص 940.

- البداد (مصطلح)، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج 4، ص 1104.

- مولاي بوعزة (الشيخ)، ـــ ـــ، ج 4، ص 1791.

- بويا، عمر بن عبد العزيز، ـــ ـــ، ج 4، ص 1894.

- التادلي، يوسف بن يحيى، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج 6، ص 2011.

- التّصوف بالمغرب، ـــ ـــ، ج 6، ص 2391.

- التّعليم العالي، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج 7، ص 2431.

- ابن تعيشت ـــ إبراهيم ابن تعيشت، ـــ ـــ، ج 7، ص 2431.

ـ ابن حرزهم، صالح، ج 7، ص 3369.

ـ الحرمل أحمد، ج 7، ص 3388.

ـ الخزانة العامة والوثائق للحماية، ج 7، ص 3710.

ـ الدمناتي، الجيلالي بن علي، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ج 12، ص 4083.

ـ الدمناتي، الحسين، ج 12، ص 4084.

ـ الدمناتي، على أحدو (قائد)، ج 12، 4085.

الدية، ج 12، ص 4129.

ـ ابن أبي زرع، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001 م ـ 1422 ه، ج 14، ص 4637.

ـ ابن زيدان، ج 14، ص 4783.

ـ السبحة، ج 14، ص 4857.

ـ السّيبة، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2002 م ـ 1423 ه، ج 15، 5205.

7. أعمال عن أحمد التّوفيق:

ـ السّرد التّاريخي وبناء الدّلالة في «جارات أبي موسى» محفوظ، عبد اللطيف (1959-....)، علامات في النّقد. مج. 20، ع. 80، 2014، جدة: النّادي الأدبي الثّقافي، [1991، ص. [239]-251.

ـ فصل الدّعابة في «جارات أبي موسى» بوشخار، حمو (1964-....)، كتابات معاصرة: فنون وعلوم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية = Kitabat mouaçira: arts and sciences. بيروت: المجلة: 1988، مج. 10، ع. 39، 1999-2000، ص. 91ـ94.

ـ قاسمي، جلول (1963-....)، الغائب والغائب الرّوائي: البعد الجمالي في رواية «جارات أبي موسى» لأحمد التّوفيق، علامات: ثقافية محكمة، مكناس: المجلة: 1994، ع. 39، 2013، ص. 41-45.

ـ ماجدولين، شرف الدّين (1969-....)، الرواية المغربية : الآخر وسردية الاستبعاد : قراءة في نصي «غريبة الحسين» و«البعيدون» ، الثقافة المغربية، الرّباط: وزارة الثقافة، . ع. 24-25، 2003، ص 43-58.

ـ نصّ الخروج: الأنثى والنبي والمدينة الملعونة: قراءة في رواية أحمد التّوفيق «جارات أبي موسى» عبد المجيد، شحات محمد، ملتقى الرّواية المصرية المغربية الثاني [الذي عقد بالقاهرة، 2000]. القاهرة: المجلس الأعلى للآثار، 2001.

ـ الدلالي و الجمالي في رواية «السيل» لأحمد توفيق زنيبر، أحمد (1964-....)، مقاربات: مجلة العلوم الإنسانية. مج. 2، ع. 3، 2009، ص. 47-52.

ـ تمظهرات المعنى في «جارات أبي موسى» محفوظ، عبد اللطيف (1959-....)، آفاق: مجلة دورية ع. 79-80، 2010، ص. 170-174 الرّباط: إتحاد كتاب المغرب، 1963.

ـ الوعي الفني والتاريخ في «جارات أبي موسى» المحضري، نور الدّين، الثقافة المغربية. ع. 26-27، 2004، ص. 283-301، الرّباط: وزارة الثقافة، 1942.

ـ حفريات الولد في نصّ «والدٌ وما ولدَ» العوفي، نجيب (1948-....)، نصّ المداخلة التي ألقيت ضمن أعمال اللقاء الأدبي النّقدي المنظم من طرف المكتب التّنفيذي لاتحاد كتاب المغرب بتنسيق مع المكتبة الوطنية للمملكة المغربية حول كتاب «والدٌ وما ولدَ» للروائي المغربي أحمد التّوفيق، بتاريخ 24 فبراير 2011 في الرّباط.

ـ رواية «السيل» والوقوع في دائرة السّحر للكاتب المغربي أحمد التّوفيق يوسف، شوقي بدر، إبداع: مجلة فصلية للأدب والفن. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ع. 17، 2011، ص. 220-228.

ـ طفولة في ظل الوالد: قراءة في كتاب « والدٌ وما ولدَ » لأحمد التّوفيق، المناهل = Al-Manahil. الرّباط: وزارة الدّولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1974، ع. 95-96، 2013، ص. 409-432.

ـ أنثربولوجيا الأدب: دراسة أنثربولوجية للسرد العربي، القاهرة: روافد، 2011.

ـ من أنت أيها النّص؟: مفكرة الدّروب الهائلة، عبد الغني، محمود (1967-....)، الرّباط: منشورات وزارة الثقافة، 2011.

ـ الزمن والأسطورة في رواية شجيرة حناء وقمر قاسمي، جلول (1963-....)، الأدب والأسطورة، جماعي؛ تنسيق وإشراف جلول قاسمي. [وجدة]: جمعية ملتقى أدباء شرق المغرب، 2014 (وجدة: شركة عين برانت).

ـ عودة للدرس الافتتاحي للأستاذ التّوفيق: ثوابت الحداثة، الزكاري، أسامة (1966-....)، النّص يهم الدّرس الافتتاحي للدروس الحسنية الرّمضانية الذي ألقي في حضرة صاحب الجلالة الملك محمد السّادس سنة 2012، رهانات: مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة. ع. 25، 2013، ص. 5-6. الدّار البيضاء: مركز الدّراسات والأبحاث الإنسانية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، 2006.

ـ مراجعة الماضي الفردي أو طفولة في ظل الوالد: قراءة في كتاب «والدٌ وما ولدَ» لأحمد التّوفيق، جسور: نشرة غير دورية محكمة في اللسانيات والنقد الأدبي. 2016، ع. 110-125 القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2016.

ـ الشيخ و البحر في رواية «جارات أبي موسى» أكمير، عبد الواحد (1960-....)، المشكاة: مجلة ثقافية فصلية تعنى بالأدب الإسلامي، ع. 36-37، 2001، ص. 27-29؛ وجدة: المجلة: 1983.

ـ المصطفى مويقن، شجيرة حناء وقمر لأحمد التّوفيق، مجلة فكر ونقد، ع27.

ـ المصطفى مويقن، المتخيل الدّيني في رواية «جارات أبي موسى» ـ الكرامة الصّوفية نموذجا ـ، مجلة فكر ونقد، ع 15.

ـ ما وراء التّحقيق: النّصوص الصّوفية مفتاح، محمد (1942-....)، النّص من القراءة إلى التّنظير. الدّار البيضاء: شركة النّشر والتوزيع المدارس، 2000.

ـ «جارات أبي موسى»: رصد الطّوابع والتحولات بلحاج آية وارهام، أحمد (1948-....)، المشكاة: مجلة ثقافية فصلية تعنى بالأدب الإسلامي. مج. 9، ع. 36-37، 2001، ص. 9-26، وجدة: المجلة: 1983.

ـ اليزيد الرّاضي، الدين والملة، اجتماع بشري بشروط مادية ومعنوية وضوابط سياسية واجتماعية، دراسة تخص الدّرس الافتتاحي للدروس الحسنية الذي ألقاه السّيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، أمام أمير المؤمنين الملك محمد السّادس، يوم 3 رمضان 1435 الموافق لفاتح يوليو 2014. المجلس. الرّباط: المجلس العلمي الأعلى بالمملكة المغربية، 2007، ع. 12-13، 2015، ص. 85-89.

ـ شمول الدّين وامتدادات إمارات المؤمنين في النّموذج المغربي، دراسة تخص الدّرس الافتتاحي للدروس الحسنية الذي ألقاه السّيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، أمام أمير المؤمنين الملك محمد السّادس، يوم 3 رمضان 1435 الموافق لفاتح يوليو 2014، المجلس. الرّباط: المجلس العلمي الأعلى بالمملكة المغربية، 2007، ع. 12-13، 2015، ص. 85-89.

ـ بنية الإرتقاء والسقوط في رواية السّيل جبار، سعيد، فكر ونقد : ثقافية شهرية، الرّباط: دار النّشر المغربية، 1997، ع.45، 2002، ص. 135-140.

ـ أطروحة «إينولتان» كنموذج للكتابة التّاريخية، أفا، عمر (1943-....)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية = Revue de la Faculté des lettres et des sciences humaines. الرّباط: جامعة محمد الخامس، 1977، ع. 9، 1982، ص. 155-167.

ـ قراءة في كتاب إينولتان بنسعيد، إدريس (1949-....)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية = Revue de la Faculté des lettres et des sciences humaines، الرّباط: جامعة محمد الخامس، 1977، ع. 9، 1982، ص. 169-179.

ـ لطيفة بلخير، أحمد التّوفيق: جماليات التّخييل السّردي: دراسة، [د.م.: د.ن.]، 2016 (الرباط: مطبعة البيضاوي).

ـ رواية الأسرة في السّرد المغربي: مقدمات، نماذج، نتائج، الدّار البيضاء: الدّار العالمية للكتاب، 2017 (الدار البيضاء: مغرب الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع).

ـ الغرابي الجيلالي، عناصر السّرد الرّوائي: رواية «السيل» لأحمد التّوفيق أنموذجا، إربد: عالم الكتب الحديث، 2016.

ـ الجيلالي الغرابي، توظيف التّراث الشّعبي في الرّواية العربية، المنامة: الثقافة الشّعبية للدراسات والبحوث والنشر، 2015.

ـ الكتابة والنص الغائب: دراسة: سؤال المرجع في روايات أحمد التّوفيق: التّاريخي والمناقبي في «جارات أبي موسى»: دراسة، الدّار البيضاء: أفريقيا الشّرق، 2015.

ـ صورة الغربة في رواية غريبة، الحسين أنقار، سعاد، مجرة: فصلية إبداعية نقدية، القنيطرة: البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، . ع. 11، 2007، ص. 23-33 .

ـ عبد الكريم فاضيل، الخطاب الصّوفي في الرّواية المغربية: أحمد التّوفيق نموذجا، التّصوف وخطابات المثقف: أعمال ندوة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمدينة فاس، بتاريخ 2-3 ماي 2014، [د. محمد جبرون، د. أحمد شراك، د. هشام العلوي... وآخرون]. الرّباط: اتحاد كتاب المغرب، (الرباط: مطبعة البيضاوي)، 2015.

ـ الحكاية والحياكة: توصيفات نصية وحكائية في الرّواية المغربية التّسعينية الحجمري، عبد الفتاح (1962-....)، الرّواية العربية في نهاية القرن رؤى ومسارات: أعمال ندوة، 25-27 شتنبر 2003. الرّباط: وزارة الثقافة، 2006.

ـ في رحاب السّرد: قراءة في البنيات والدلالات الرّوائية أقلمون، عبد السّلام (1969-....)، [د.م.: د.ن.]، 2008 (الرباط: ربا نيت)

ـ البنيات النّصية في رواية جارات أبي موسى للأستاذ أحمد التّوفيق الطاهري، بديعة، فكر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية = Fikr: revue des sciences humaines et sociales، الرّباط: المجلة: 2005، ع. 5، 2007، ص. 53-61.

ـ بوطيب، عبد العالي، نمذجة الاستهلالات الرّوائية المغربية: بلمليح، العروي، أحمد توفيق، ليلى أبو زيد، غلاب، برادة، الشّاوي، كتابات معاصرة: فنون وعلوم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية = Kitabat mouaçira: arts and sciences بيروت: المجلة: 1988، . مج. 14، ع. 53، 2004، ص. [134]-138.

ـ الرواية المغربية: الآخر وسردية الاستبعاد: قراءة في نصي «غريبة الحسين» و«البعيدون» ماجدولين، شرف الدّين (1969-....)، أوان: مجلة دورية ثقافية تعنى بمراجعات الكتب = Awan. البحرين: كلية الآداب، [2002]، ع. 7-8، 2005، ص. 186-197.

ـ «جارات أبي موسى» بين التّاريخ والراهن: قراءة في رواية أحمد التّوفيق صوف، محمد (1950-....)، أوان: مجلة دورية ثقافية تعنى بمراجعات الكتب = Awan. البحرين: كلية الآداب، [2002]، ع. 7-8، 2005، ص. 182-185.

8. تقديمات:

ـ الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر [نص مطبوع] : [أعمال] الأيام الدراسية [المنعقدة] بالرباط من 6 إلى 9 رجب 1404/موافق 20-23 أبريل 1983، الرباط: جامعة محمد الخامس، 1986. تقديم أحمد التوفيق.

ـ متنوعات محمد حجي = Mélanges Mohammed Hajji، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، تقديم أحمد التوفيق.

ـ حكمة الإسلام في قضايا البيئة: تقديم فنانين مغاربة في الخط، الأعمال المقدمة في الكتاب جرى تقديمها في معرض أقيم بمركب محمد السّادس الإداري والثقافي بمراكش شهر نونبر 2016.

ـ القرآن الكريم، المصحف المحمدي من ألواح الكتاتيب المغربية: ستون حزبا من القرآن تم جمعها من ستين كتابا باقلام ستين قارئا وقارئة، [تصدير أحمد التّوفيق].

ـ دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصّلاة على النّبي المختار ونصوص أخرى في الدّعاء والمديح = Dala'il al-Khayrat wa Shawariq al-Anwar fi as-Salat 'la an-Nabiyy al-Mukhtar et autres textes panégyriques et d'invocation، محمد الجزولي؛ تقديم وتعليق أحمد التّوفيق وماري-جونفييف جيدون، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003.

ـ تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب، لابن جزي الغرناطي؛ دراسة وتحقيق منير القادري بودشيش؛ تقديم أحمد التّوفيق، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 1998.

ـ الحلل البهية في ملوك الدّولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تأليف محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي؛ دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005.

ـ عثمان السّلالجي ومذهبيته الأشعرية: دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال «البرهانية» وشروحها، جمال علال البختي؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005.

ـ منظور الإسلام إلى المحافظة على البيئة، تأليف الأستاذ عبد المجيد الطّريبق؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007.

ـ استدعاءات الإجازة، للإمام الحافظ النّاقد أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السّبتي، ت 721 هـ بفاس؛ دراسة وتحقيق عبد اللطيف الجيلاني؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الرّباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007.

ـ المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشّرقي المغربي خلال القرن التّاسع عشر، 1845-1912، أحمد مزيان؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الرّباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007.

ـ المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب: المدرسة الإلغية بسوس نموذجا، المهدي بن محمد السّعيدي؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2006.

ـ الخزانة العامة للكتب والوثائق (الرباط)، الأقاليم الجنوبية: ببليوغرافيا مختارة = Provinces du Sud: bibliographie sélective، الخزانة العامة للكتب والوثائق؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 1998.

ـ أنس المهج وروض الفرج: قسم شمال إفريقيا وبلاد السّودان، الشّريف الإدريسي السّبتي (493-560 هـ، 1100-1165 م)؛ تحقيق الوافي نوحي؛ [تقديم أحمد التّوفيق]، الرّباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007.

9. أطاريح ورسائل أشرف عليها أحمد التّوفيق:

ـ العلماء والصّلحاء والسّلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين، المغراوي، محمد، دكتوراه الدّولة: الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2002.

ـ ليبيا من خلال كتابات الرّحالين المغاربة في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، 16-17 م.، عبد السّلام محمد الحراري، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994.

ـ طبقات الحضيكي لمحمد بن أحمد الحضيكي، 1189 هـ -1775 م.، تحقيق وتقديم: أحمد بومزكو، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1994.

ـ الغزو الاستعماري ومقاومته في الأطلس المتوسط، 1913-1930، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996.

ـ إثمد العينين ونزهة النّاظرين في مناقب الأخوين لأبي عبد الله بن تكلات: دراسة وتحقيق: محمد رابطة الدّين، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1986.

ـ كتاب الدّرة الجليلة في مناقب الخليفة لمحمد بن عبد الله الخليفي، كان حيا عام 1203، دراسة وتحقيق: أحمد عمالك، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1986.

ـ إسهام في دراسة زاوية قصر تامكروت، 1045-1729، علي أنكام، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1992.

ـ قيادة حاحة وقيادة متوكة في أعوام السّتين من القرن 19، القبائل والسلطة، 1280-1863، 1290-1873، محمد زرهوني، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1995.

ـ جزء من زهر الأكم للحاج عبد الكريم بن موسى الرّيفي، دراسة وتحقيق: آسية بنعدادة، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1989.

ـ مباحث الأنوار من أخبار بعض الأخيار لأبي العباس بن محمد يعقوب الولالي: دراسة وتحقيق: عبد العزيز بوعصاب، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1987.

ـ روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان لمحمد بن أحمد السّوسي الأكراوي، دراسة وتحقيق: أنوش، حمدي (1953-1997)، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1989.

ـ تاريخ الزلازل بالمغرب من 846 م. إلى 1960 م.، ثوريا المرابط أزروال، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1991.

ـ التّاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17، مطلع القرن 20: دراسة في الحياة السّياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، أحمد البوزيدي، تحت إشراف أحمد التّوفيق، دبلوم الدّراسات العليا، التّاريخ، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1988.

ـ قبيلة أولاد أبي السّباع في القرن التّاسع عشر، مولاي حسن كنفاني، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1988.

ـ الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التّاسع عشر، 1850-1912، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1984.

ـ دراسة إحصائية ومنهجية لبحوث نهاية الإجازة في التّاريخ، 1973-1982، رشيد السّلامي؛ تحت إشراف أحمد التّوفيق.

ـ ميناء العدوتين سلا والرباط في عهد السّلطان مولاي عبد الرّحمان إلى غاية توقيع المعاهدة المغربية الإنجليزية، 1238-1822، 1856-1273، زاكي سعاد، دبلوم الدّراسات العليا، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

ـ المقدمة وبلاد المغرب ومصر والسودان من مخطوط أنس المهج وروض الفرج للشريف الإدريسي، 493-560 هـ، دراسة وتحقيق: نوحي الوافي، الدّكتوراه، الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

ملاحق:

خريطة قرية أحمد التّوفيق (**والدٌ وما ولد**، طفولة في سفح الظّل، ص 278.)

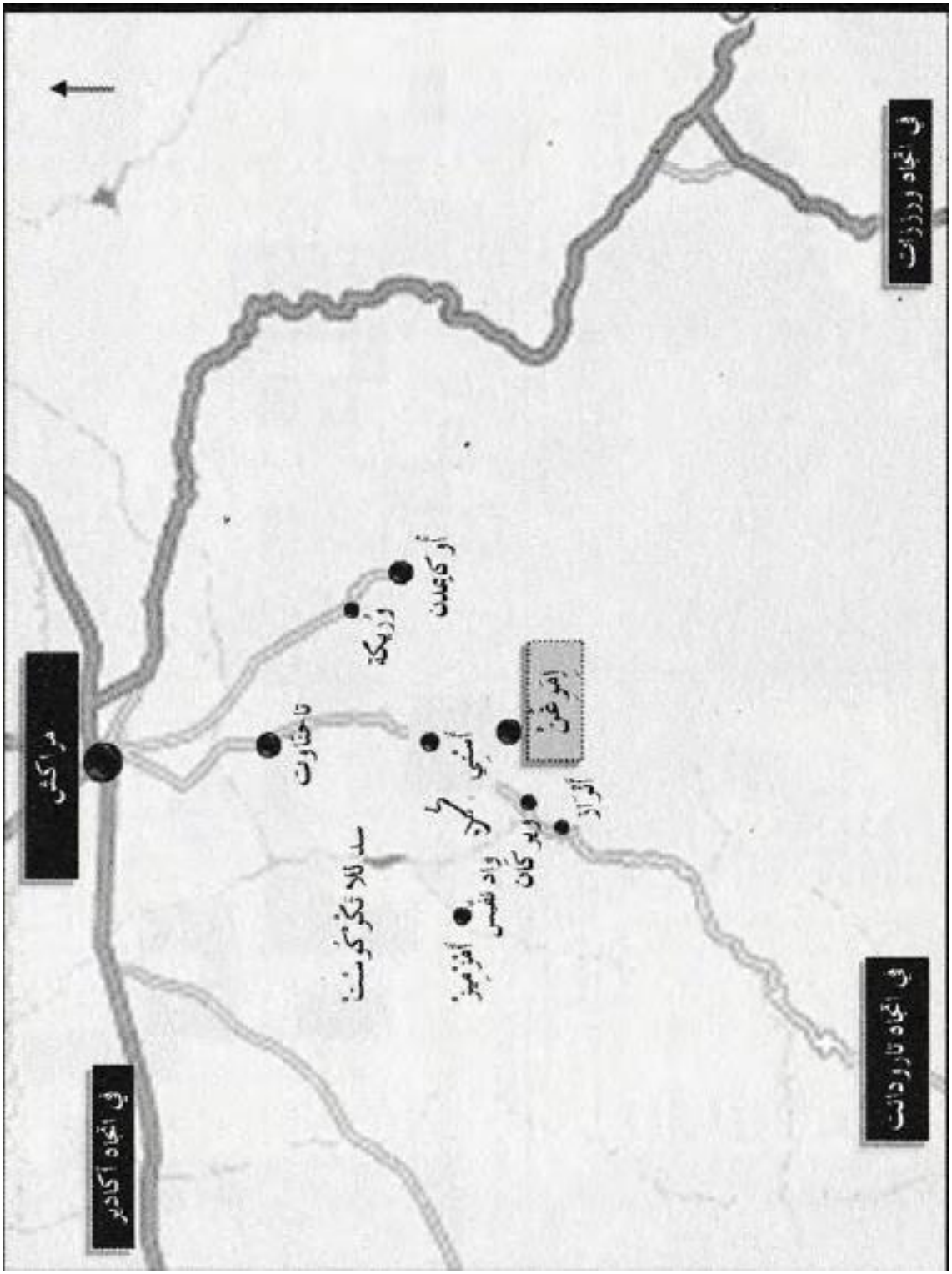

خريطة دعامة اليقين:

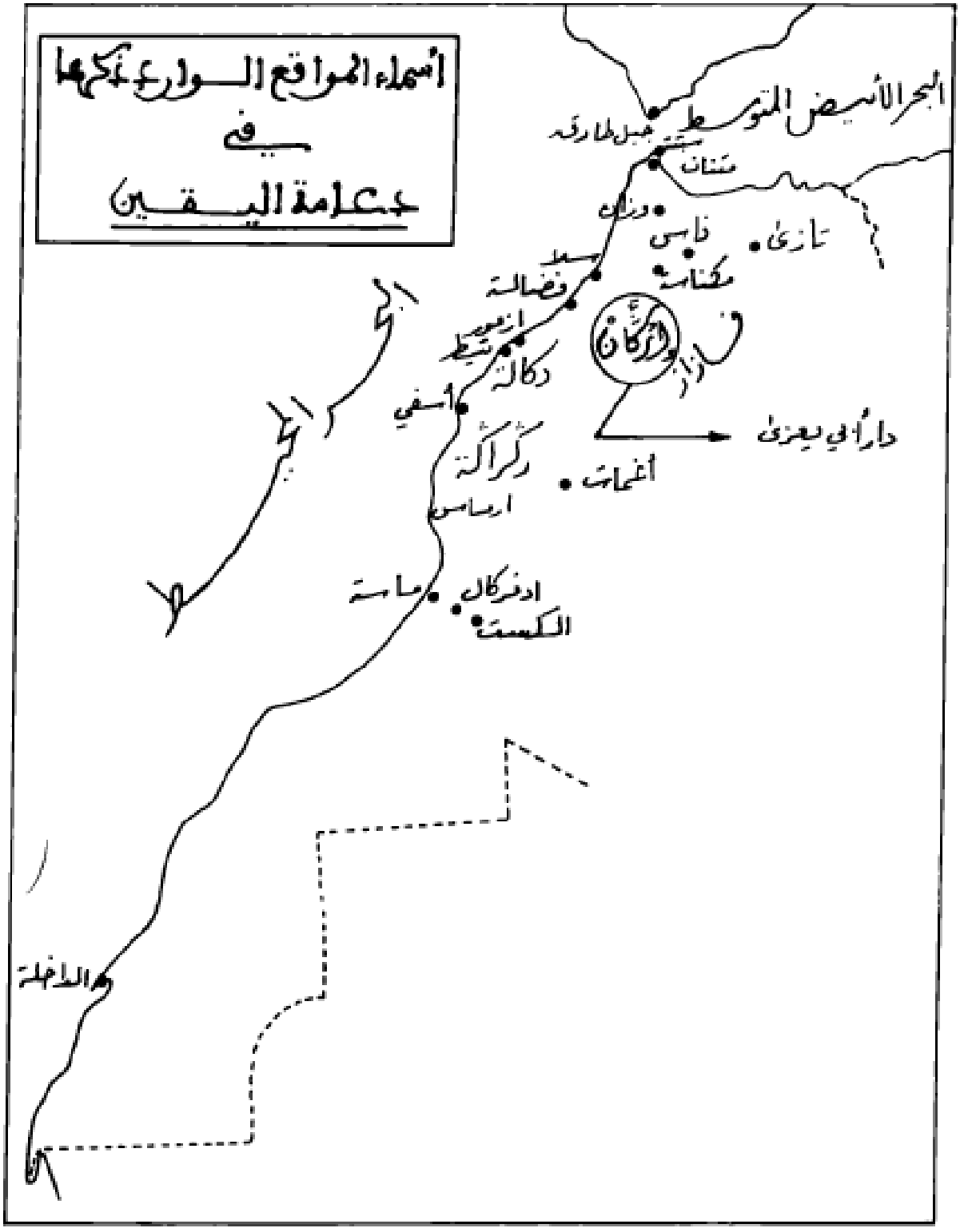

أغلفة بعض أعمال ومؤلفات أحمد التّوفيق:

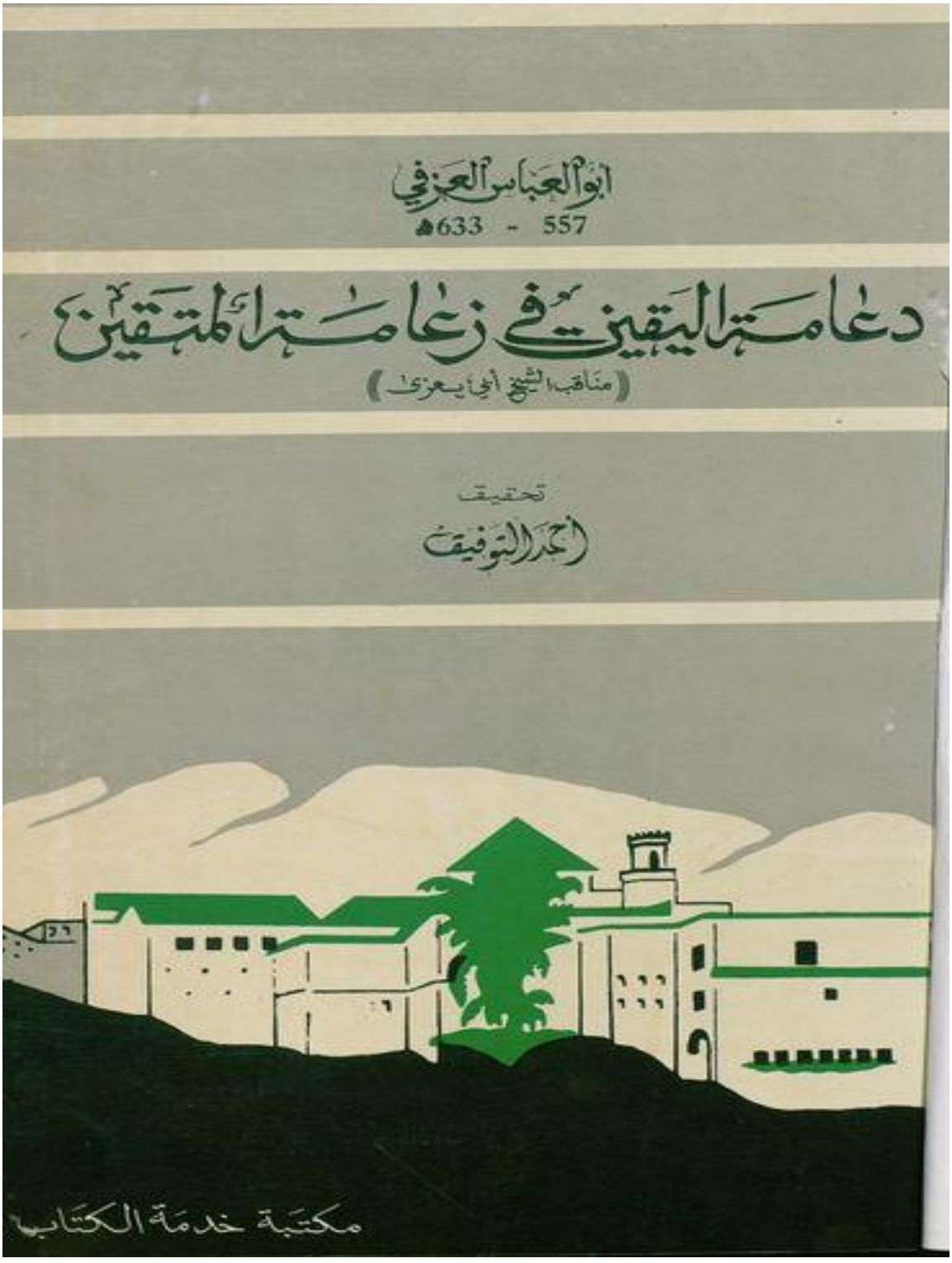

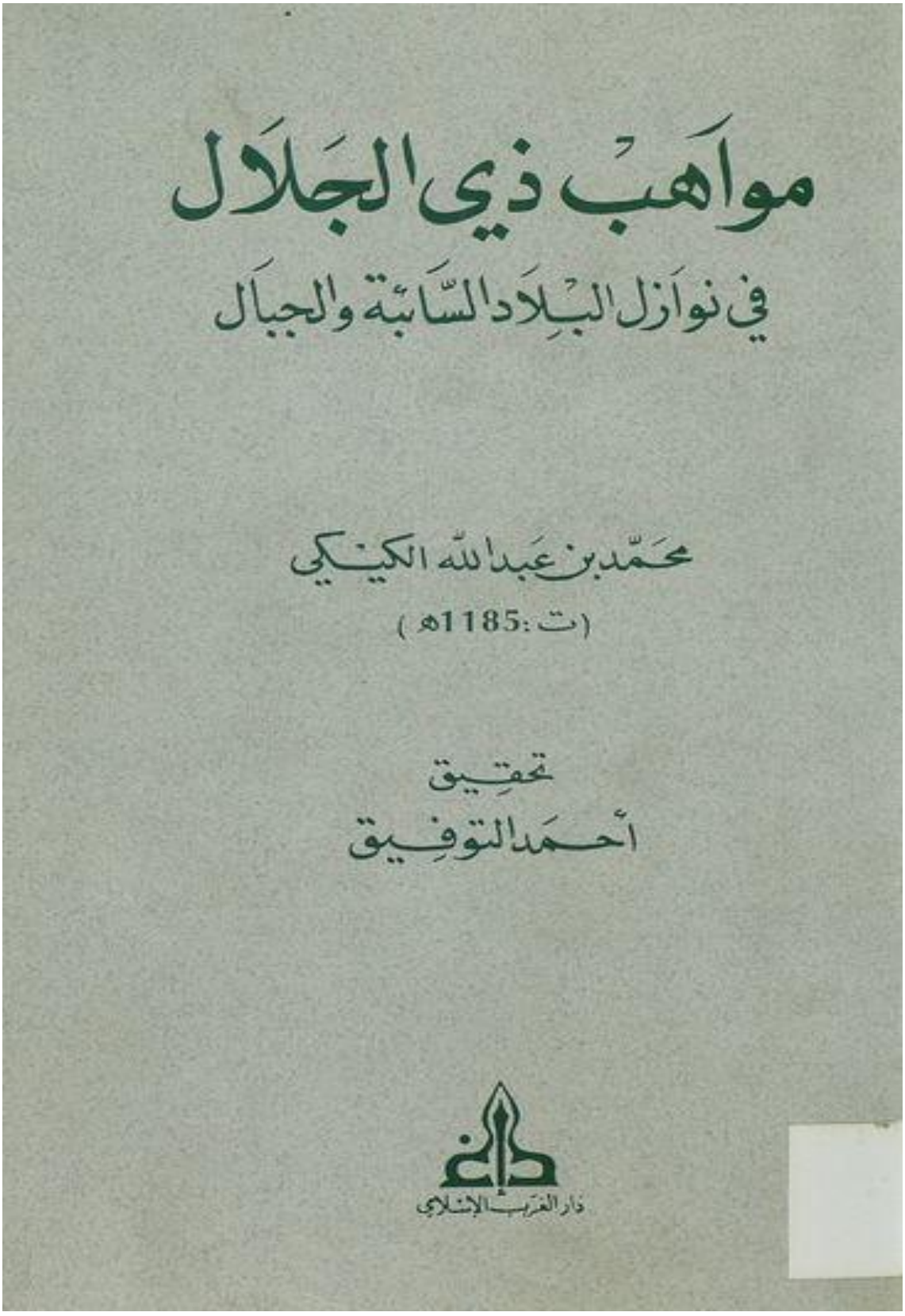
مواهب ذي الجلال
في نوازل البلاد السائبة والجبال
محمد بن عبد الله الكيكي
(ت: 1185هـ)
تحقيق
أحمد التوفيق
دار الغرب الإسلامي

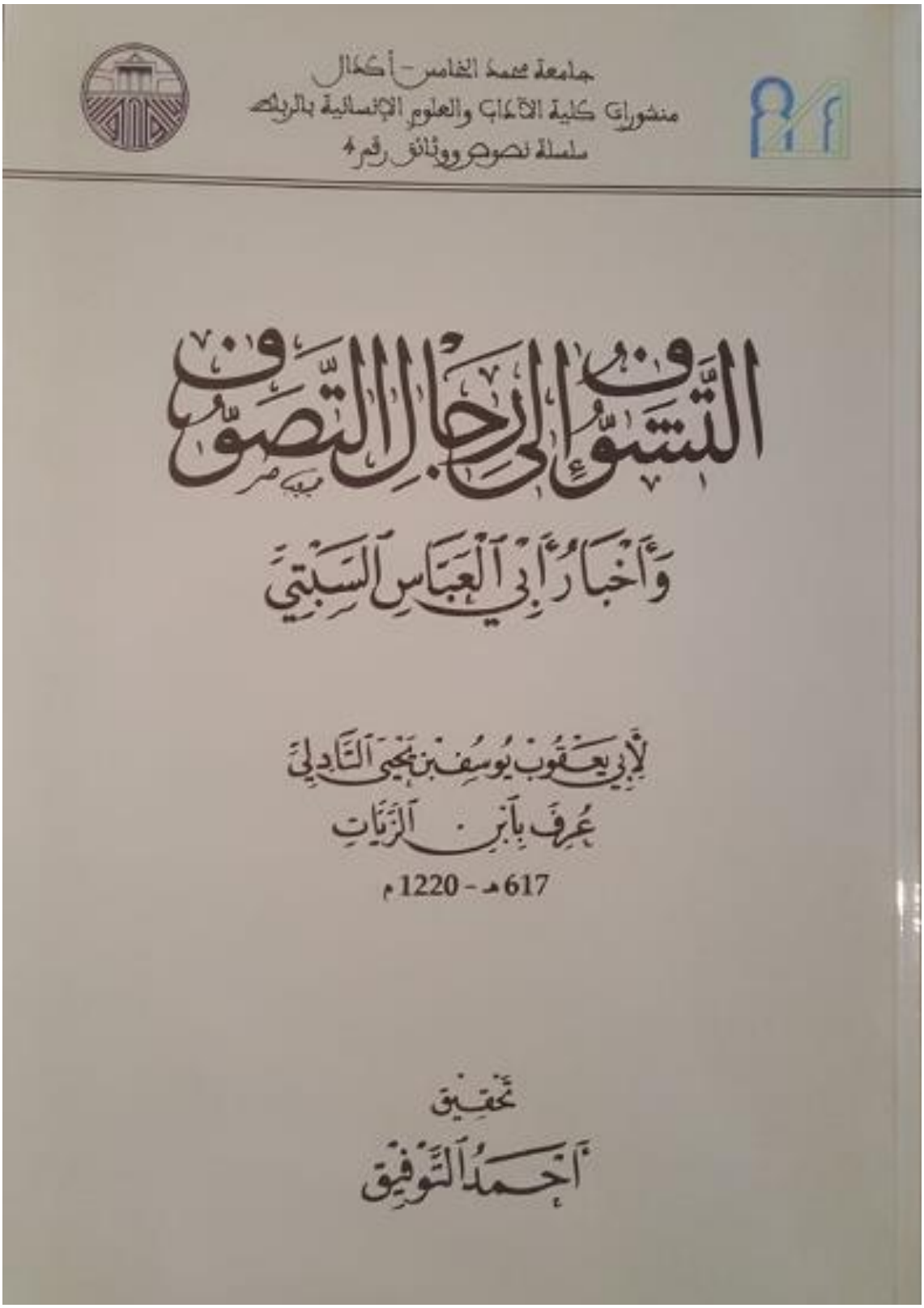
جامعة محمد الخامس - أكدال
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة نصوص ووثائق رقم 4
التشوف إلى رجال التصوف
وأخبار أبي العباس السبتي
لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي
عُرف بابن الزيات
617 هـ - 1220 م
تحقيق
أحمد التوفيق

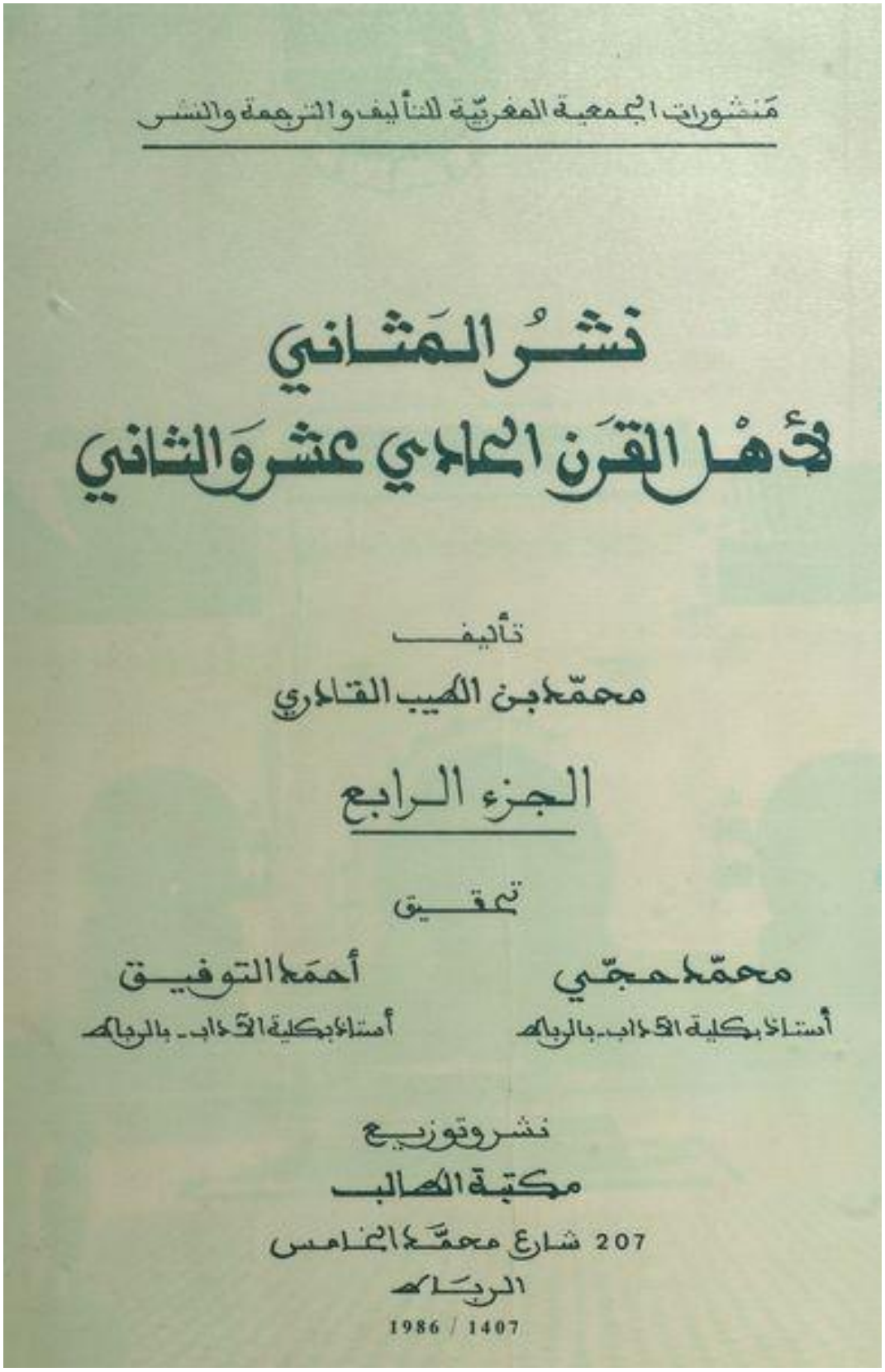
منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

نشر المثاني
لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الطيب القادري

الجزء الرابع

تحقيق

محمد حجي
أستاذ بكلية الآداب بالرباط

أحمد التوفيق
أستاذ بكلية الآداب بالرباط

نشر وتوزيع
مكتبة الطالب
207 شارع محمد الخامس
الرباط
1986 / 1407

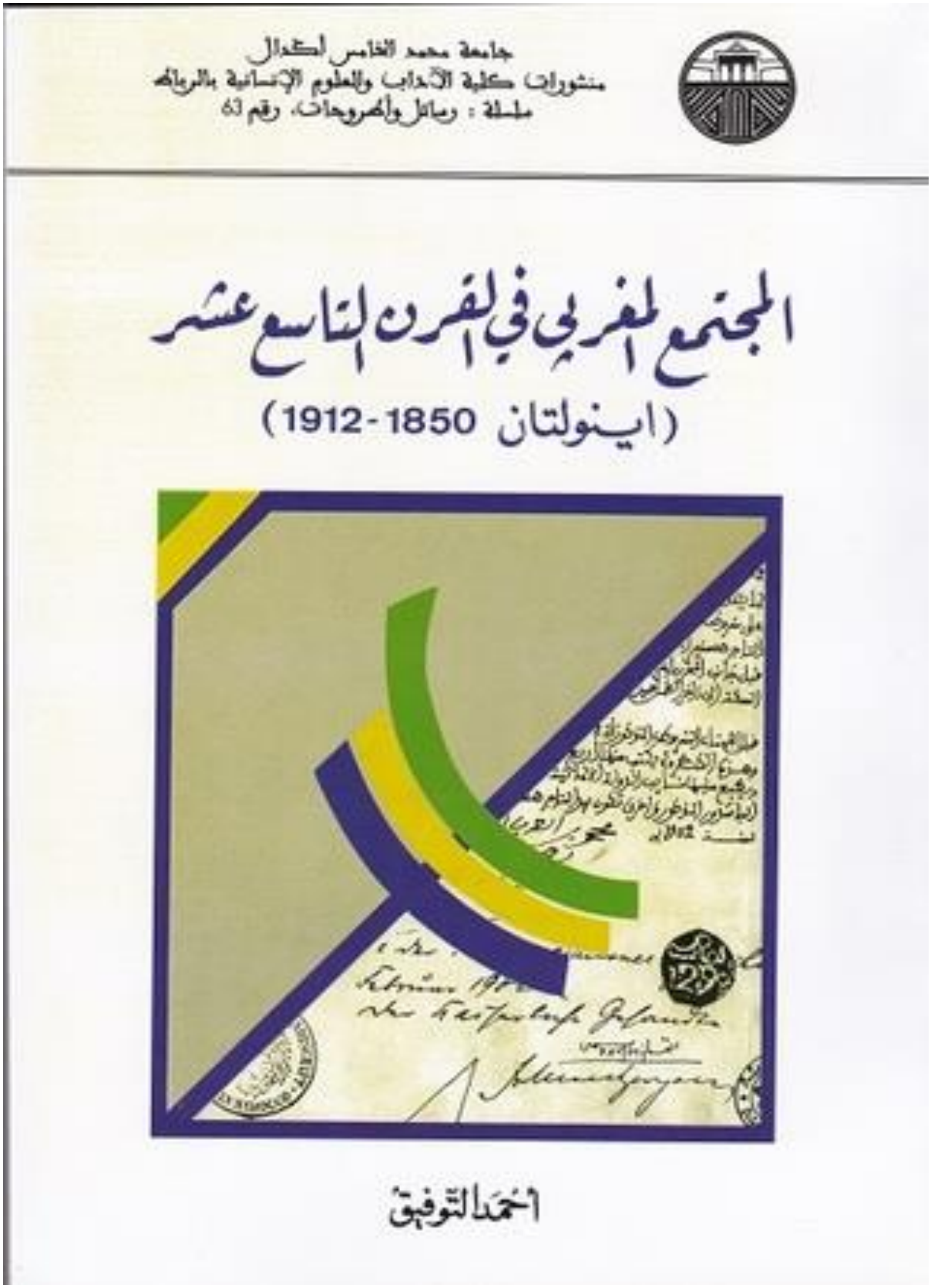
جامعة محمد الخامس أكدال
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة : رسائل وأطروحات، رقم 63
المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر
(اينولتان 1850-1912)
أحمد التوفيق

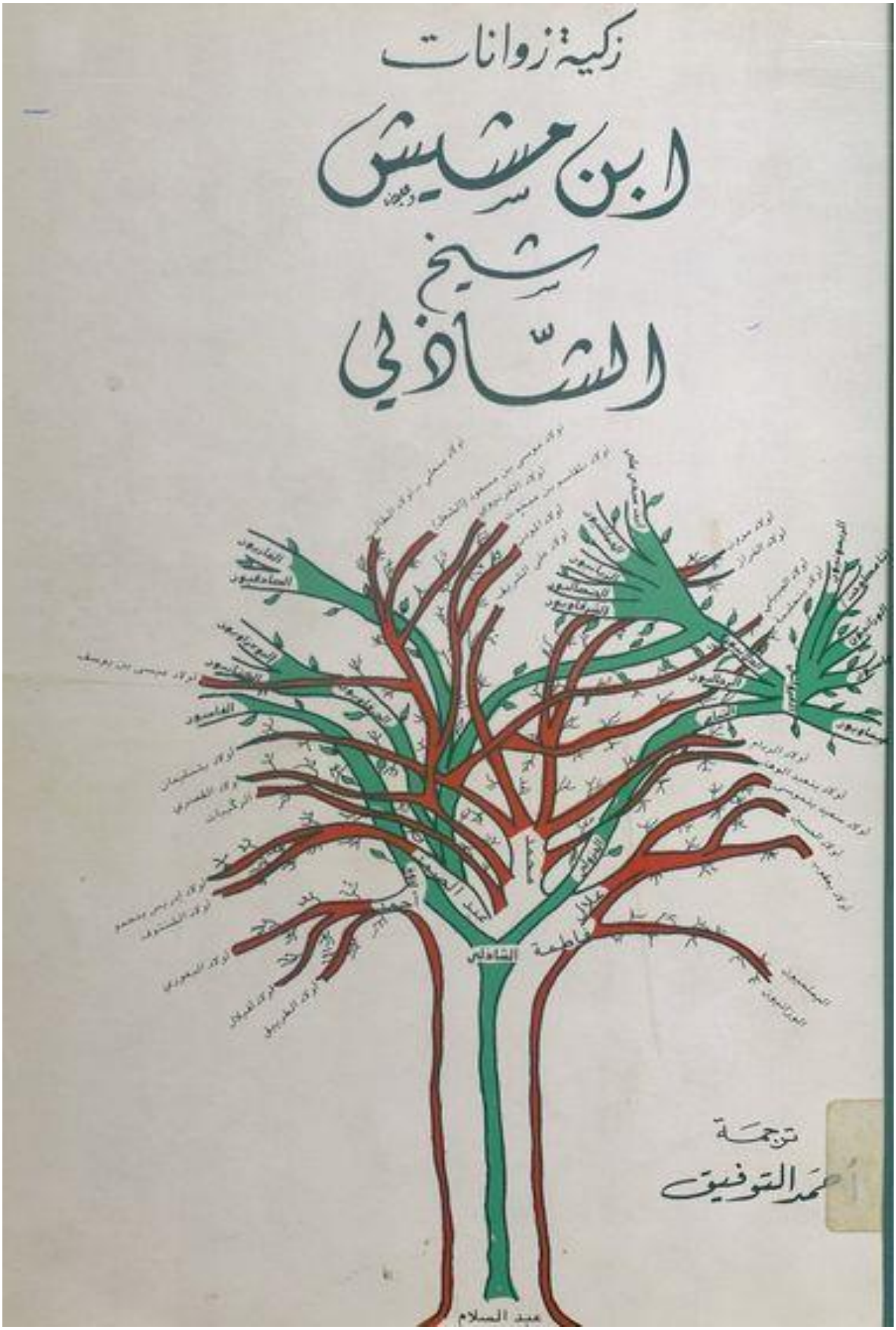
زكية زوانات
ابن مشيش
شيخ
الشّاذلي
ترجمة
أحمد التوفيق
الشاذلي
عبد السلام

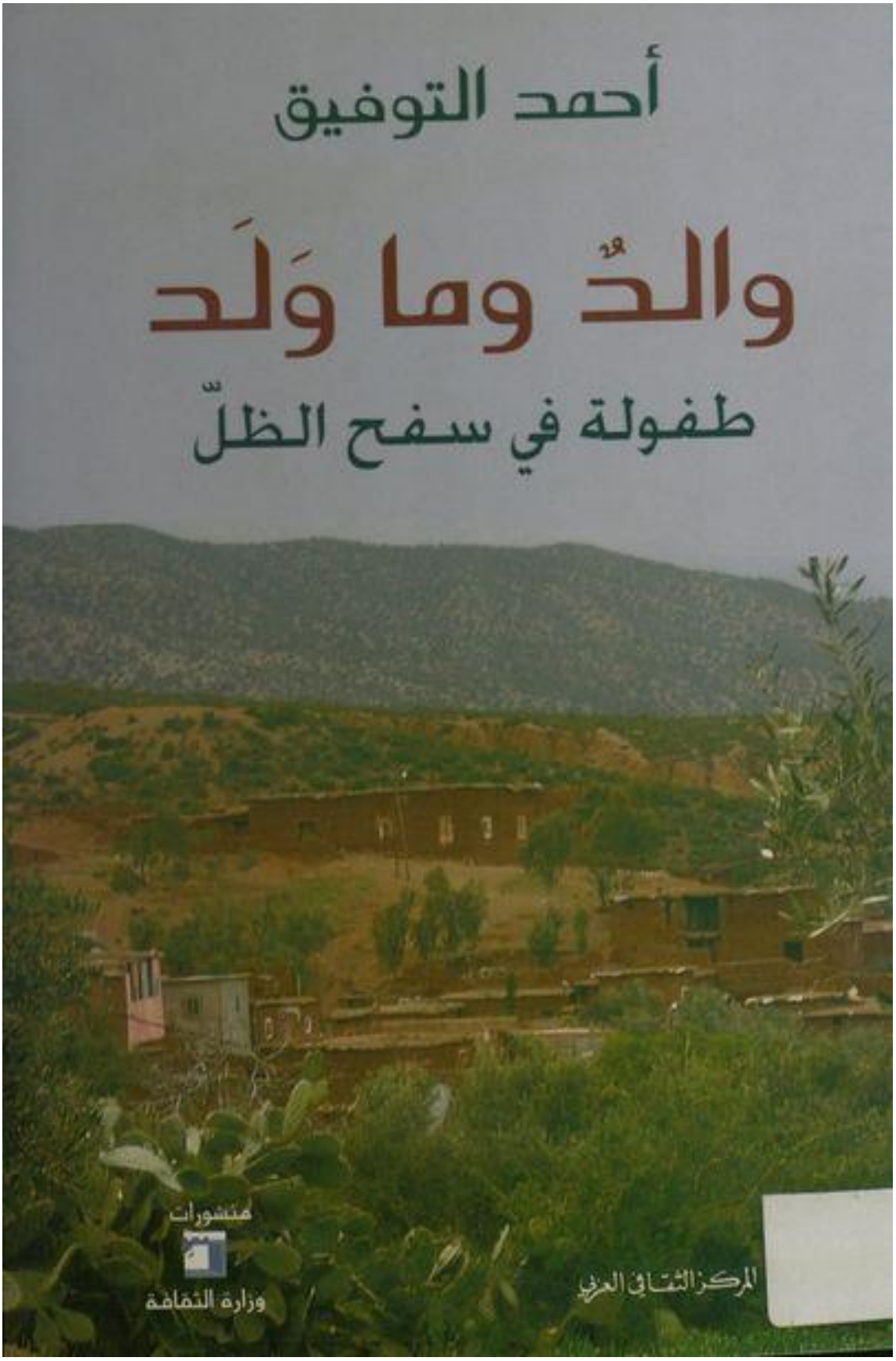
أحمد التوفيق
والدٌ وما وَلَد
طفولة في سفح الظلّ
منشورات
وزارة الثقافة
المركز الثقافي العربي

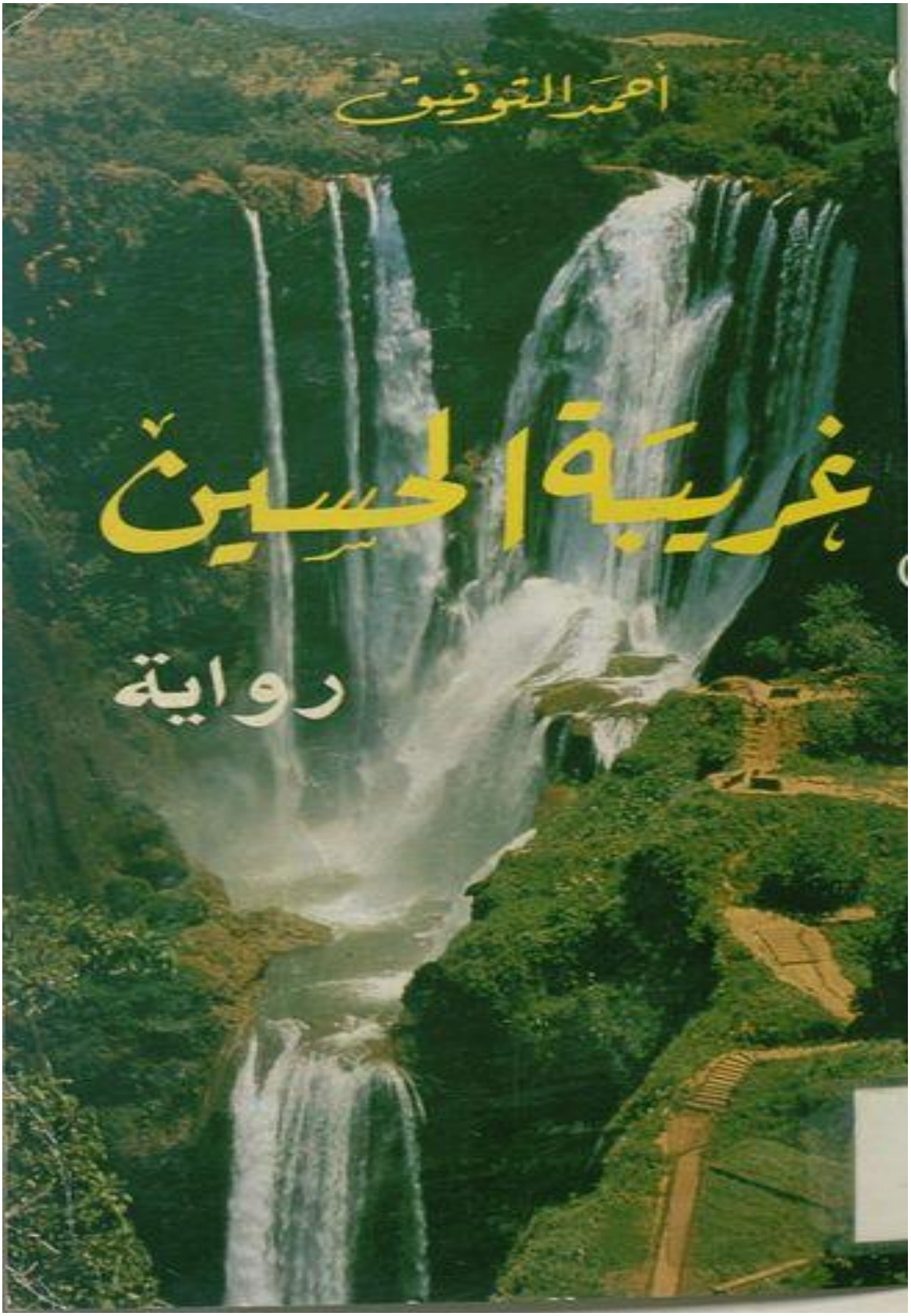
أحمد التوفيق
غربة الحسين
رواية

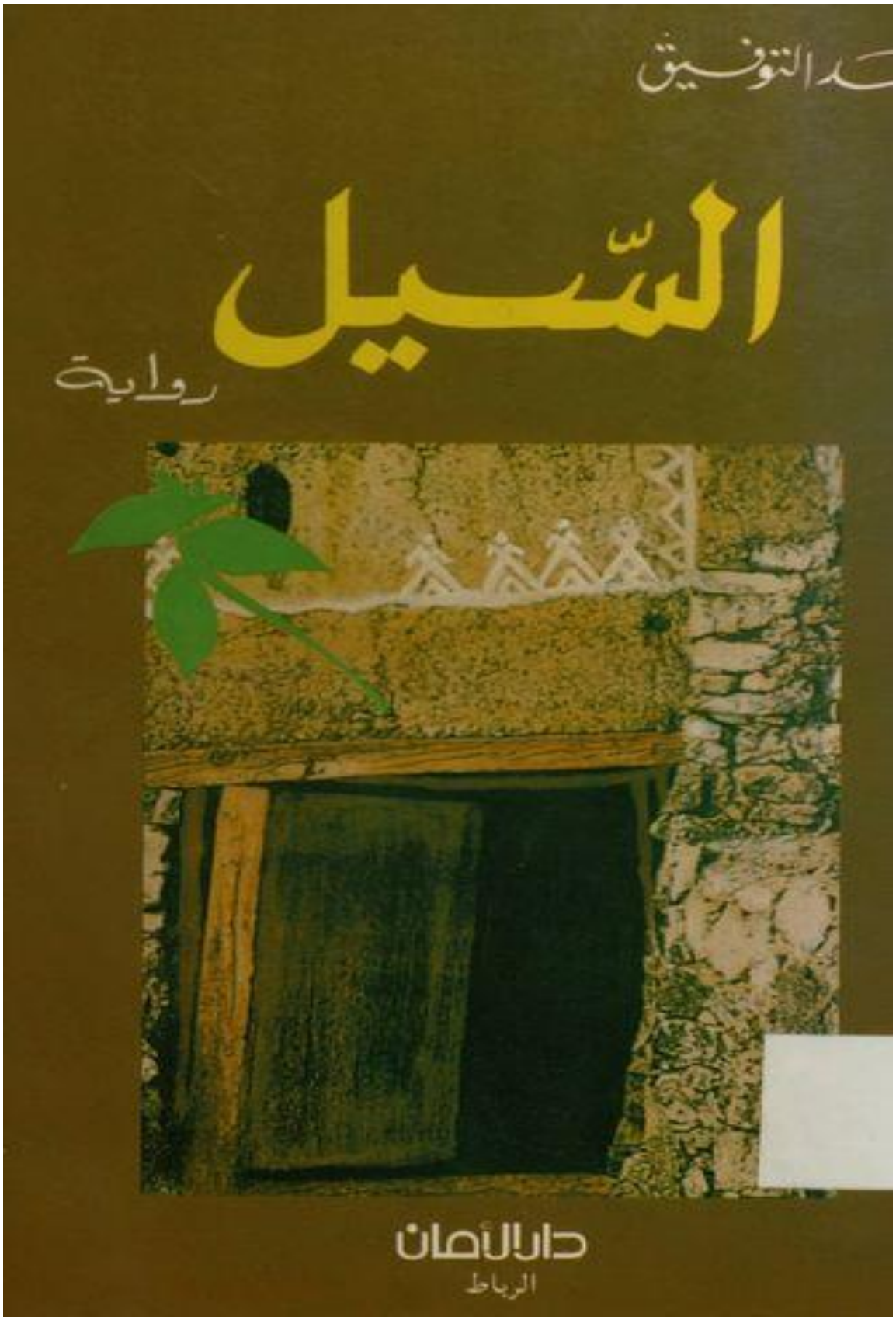
أحمد التوفيق
السّيل
رواية
دار الأمان
الرباط

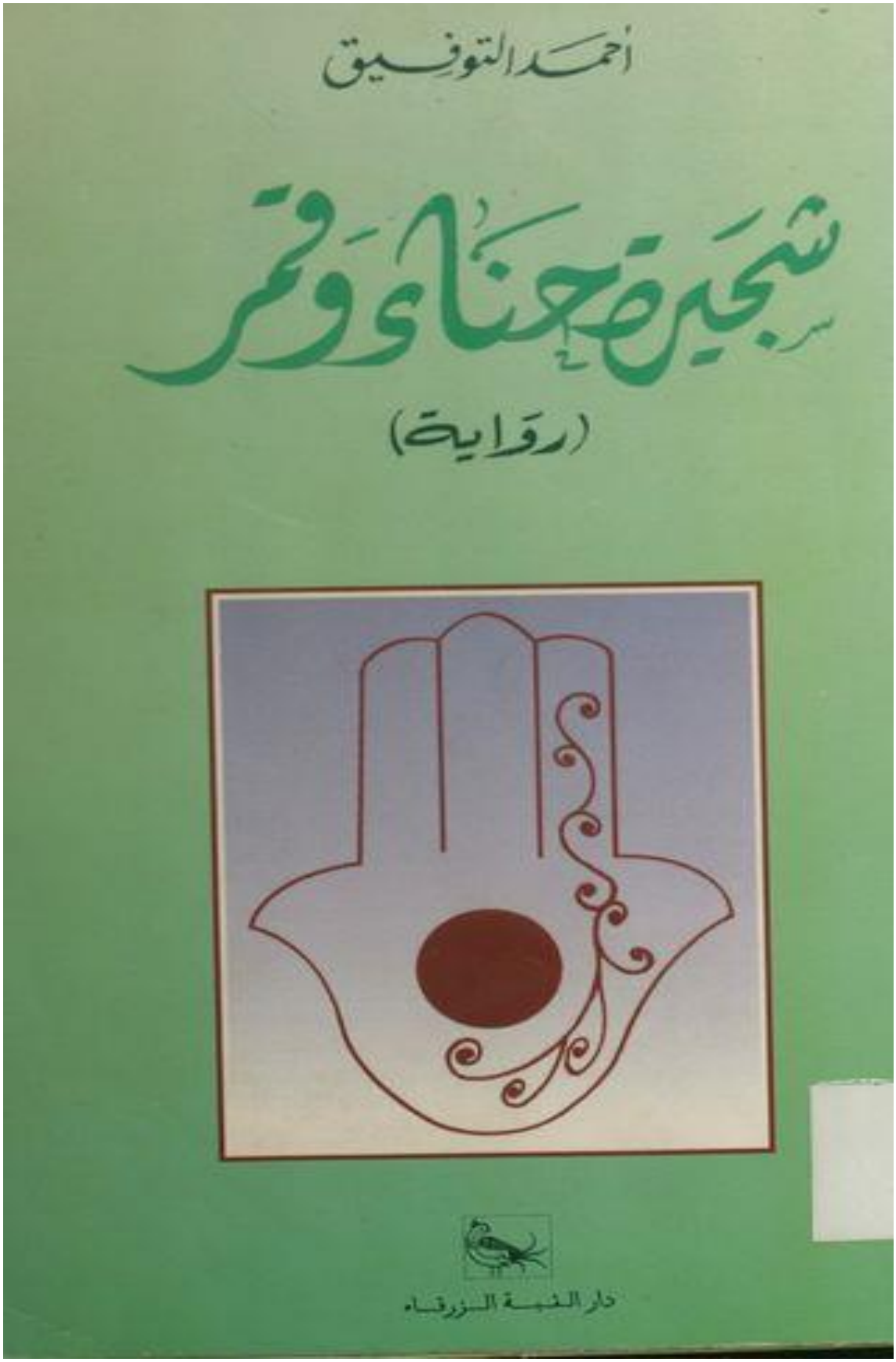
أحمد التوفيق
شجرة حناء وتمر
(رواية)
دار النهضة الزرقاء

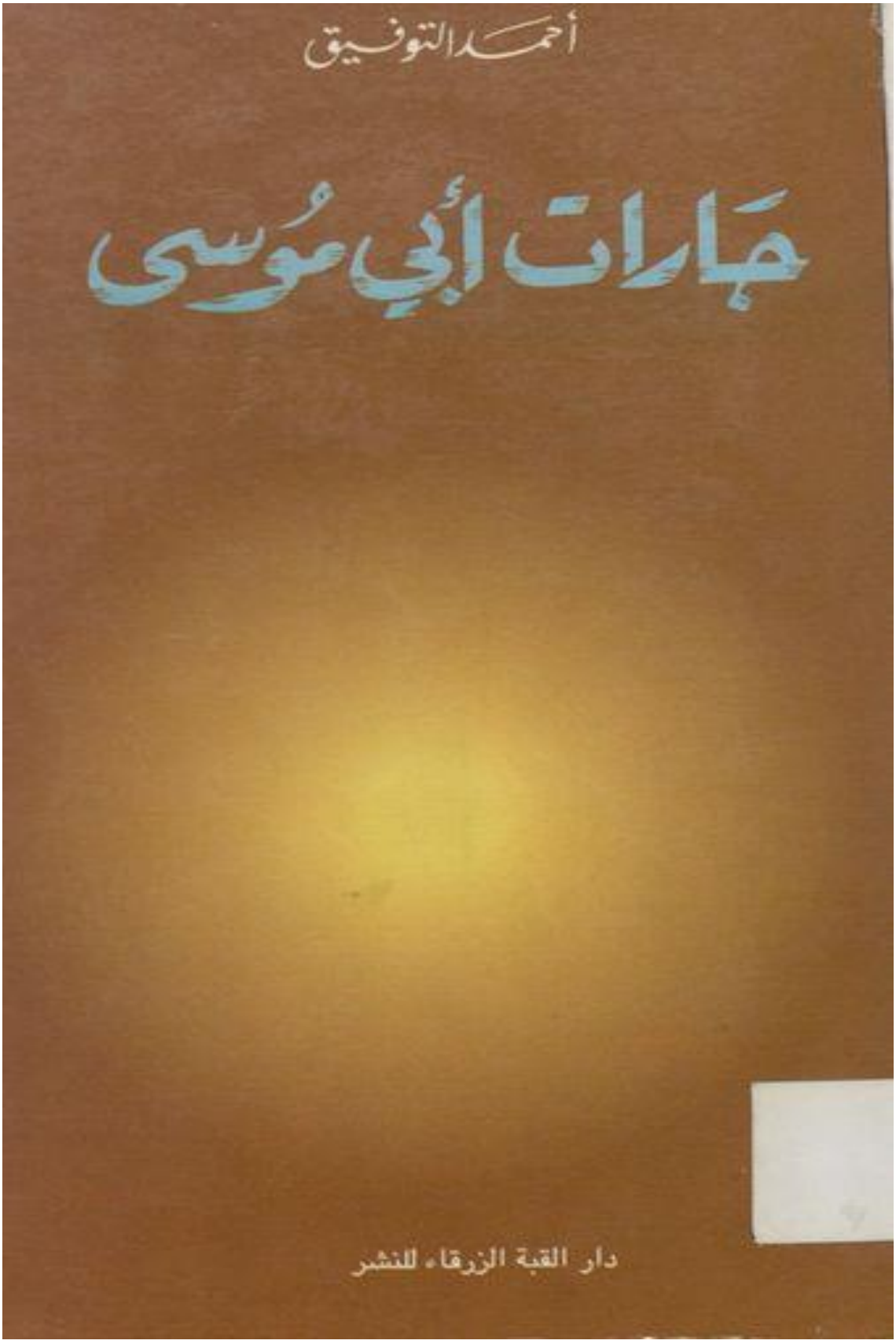
أحمد التوفيق
هَارات أبي مُوسى
دار القبة الزرقاء للنشر

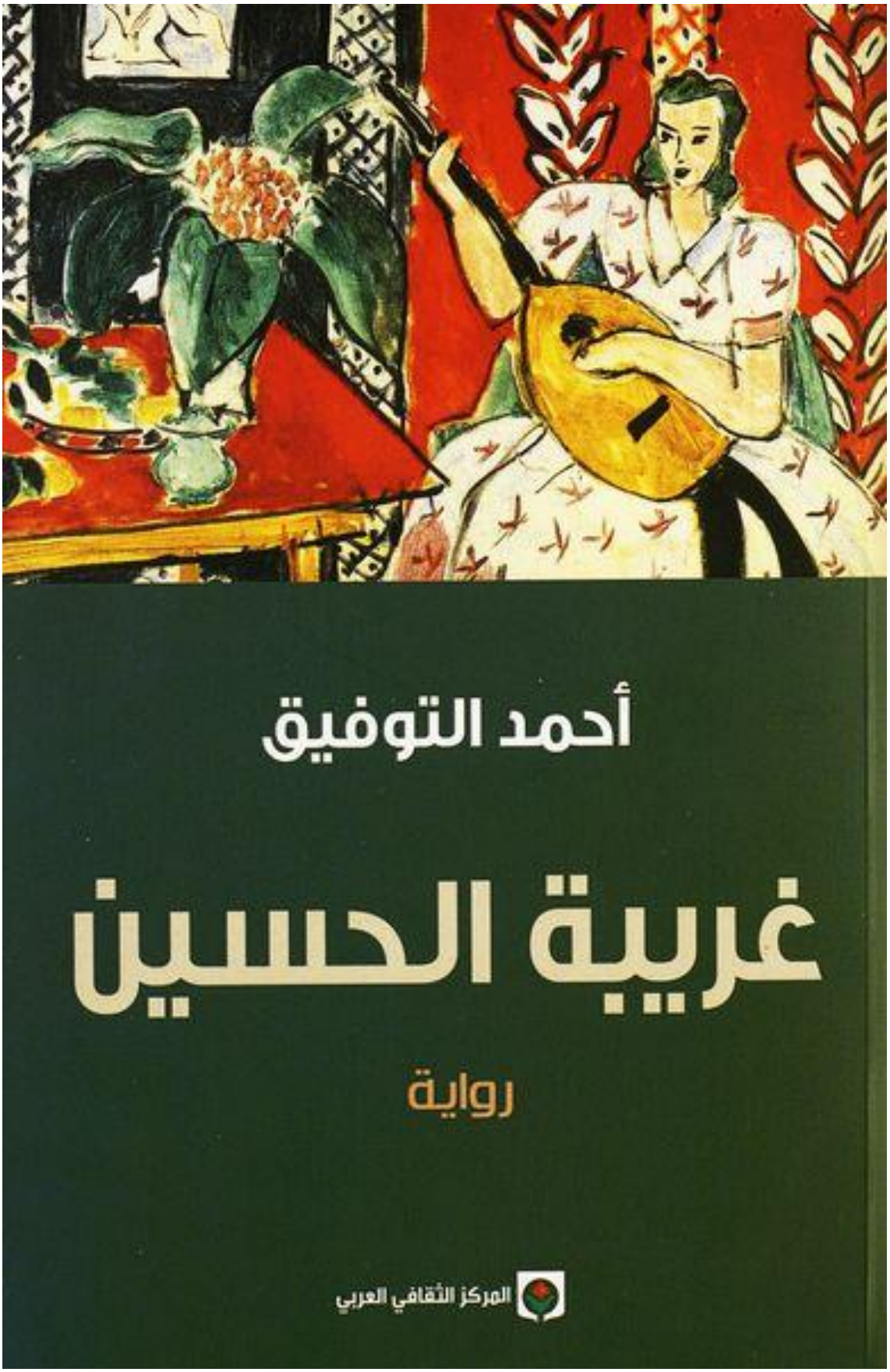
أحمد التوفيق
غريبة الحسين
رواية
المركز الثقافي العربي

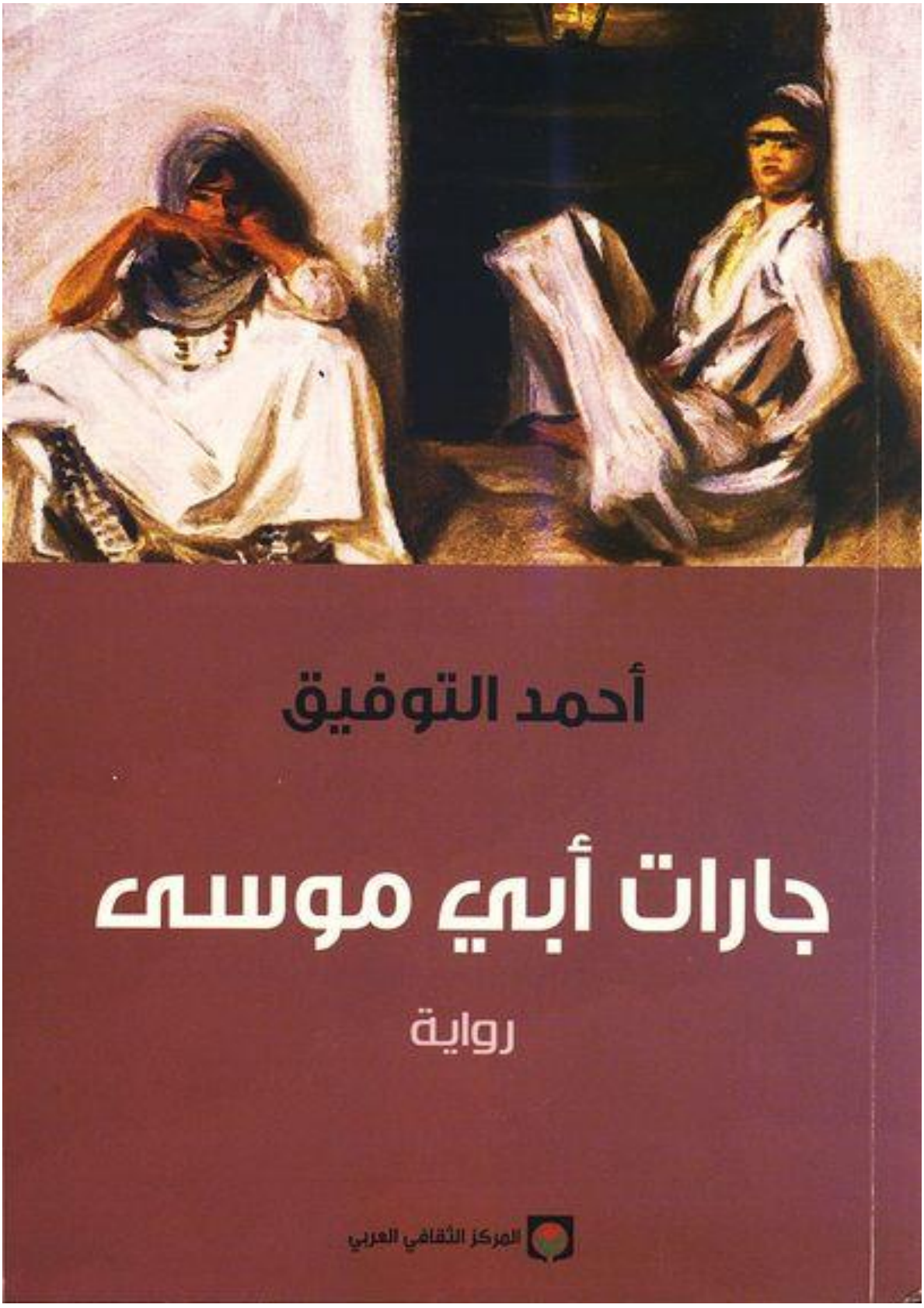
أحمد التوفيق
جارات أبي موسى
رواية
المركز الثقافي العربي

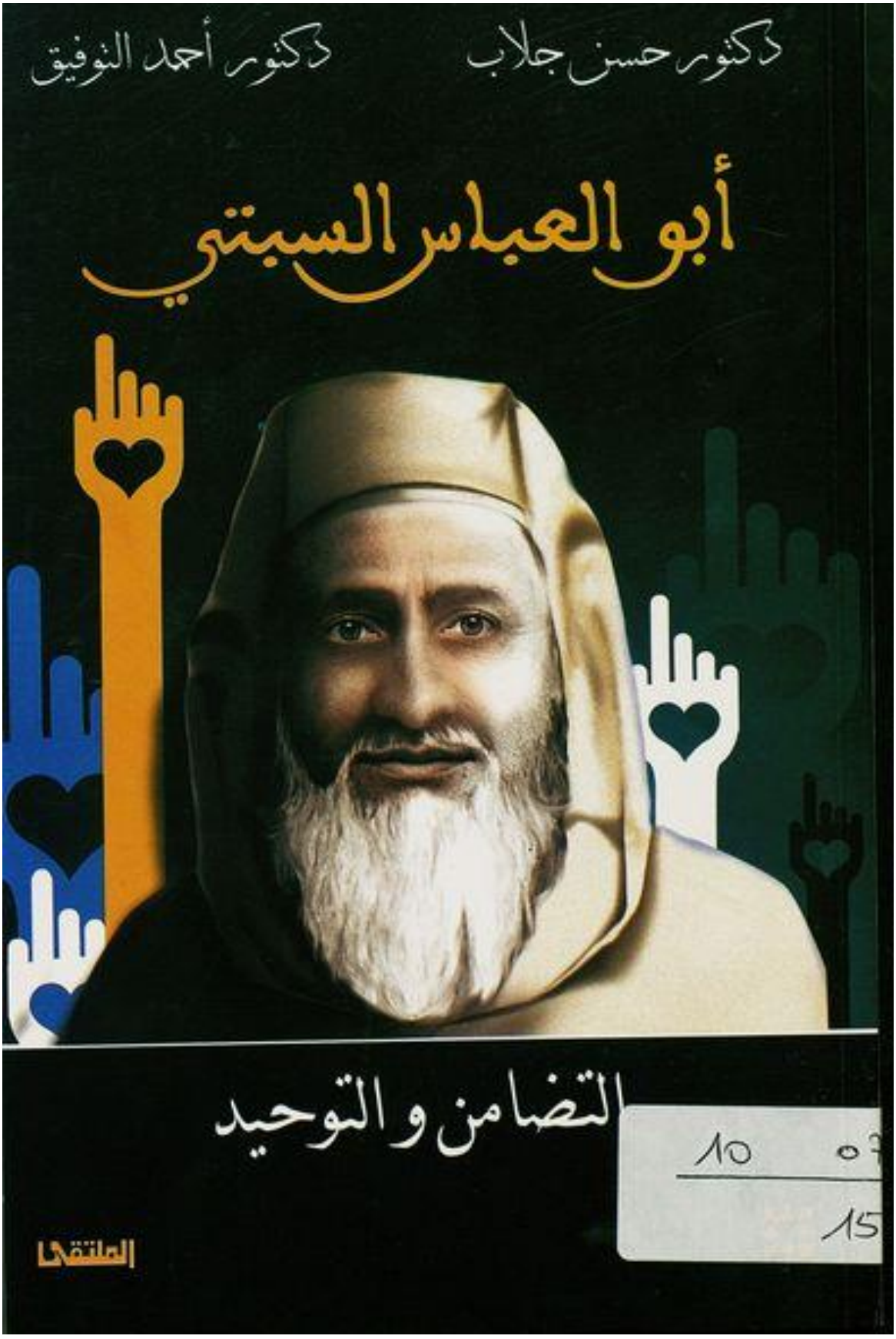
دكتور حسن جلاب
دكتور أحمد التوفيق
أبو العباس السبتي
التضامن والتوحيد
الملتقى

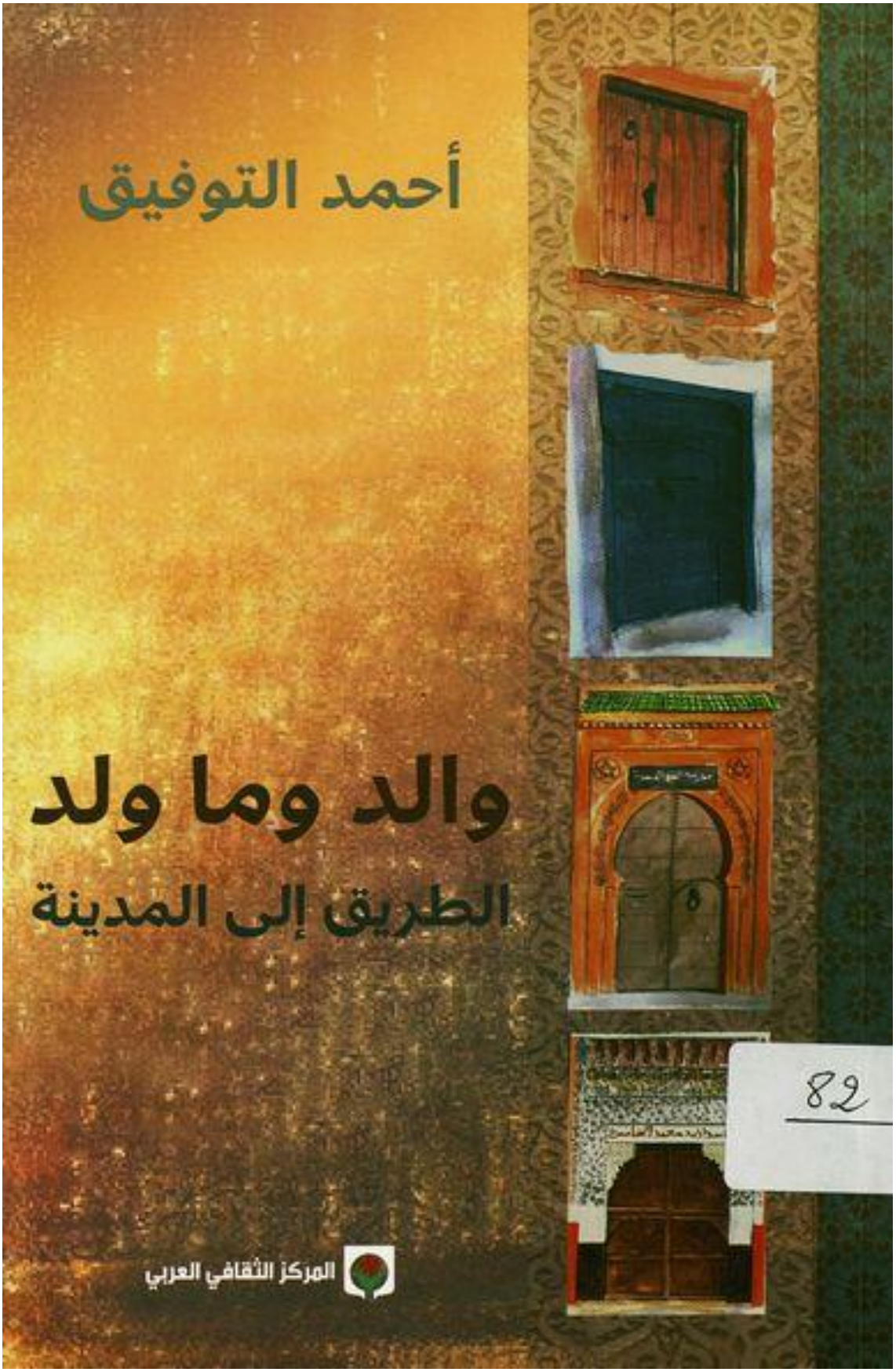
أحمد التوفيق
والد وما ولد
الطريق إلى المدينة
المركز الثقافي العربي
82

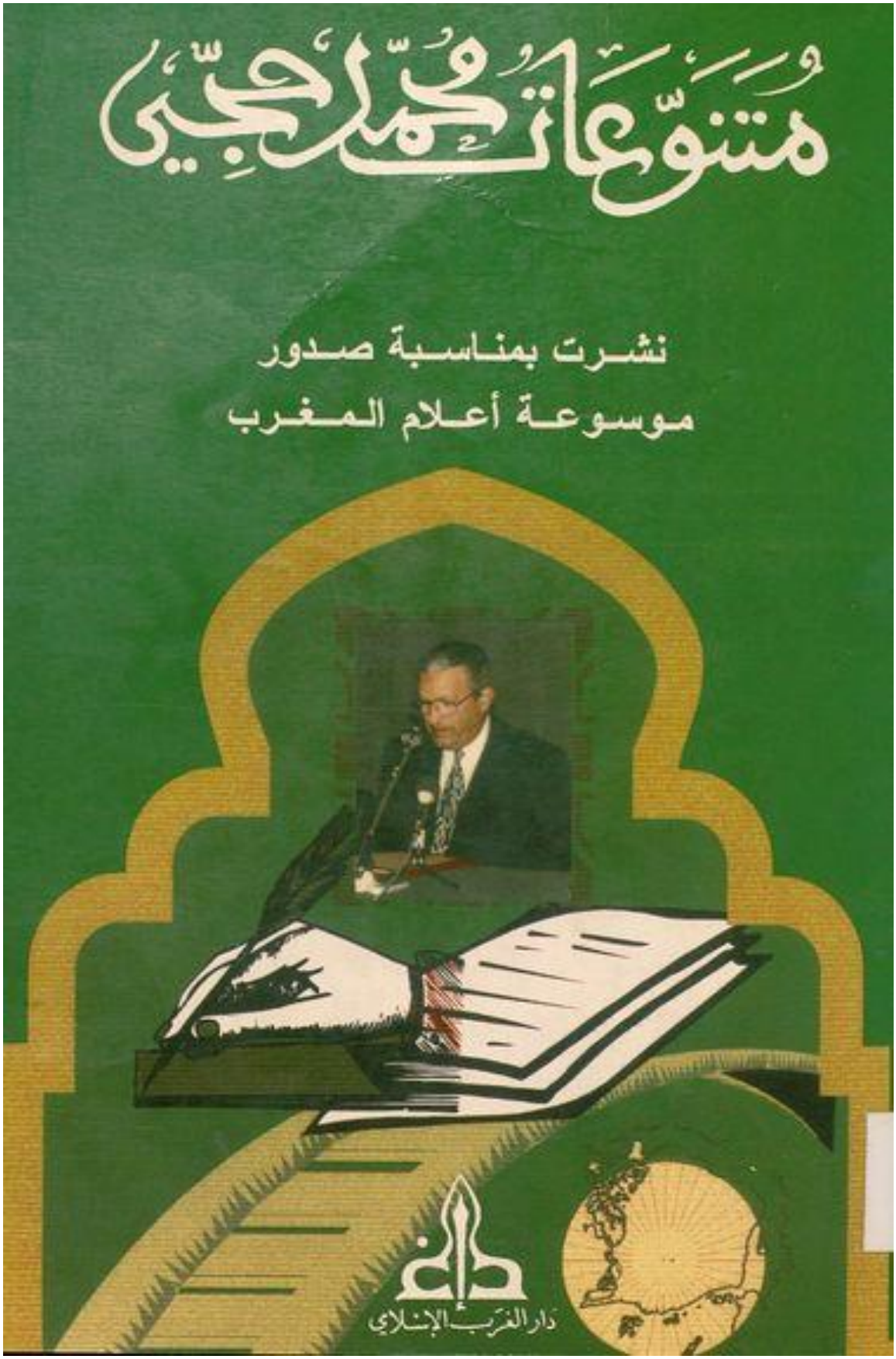
مُتَنَوِّعَاتٌ مَغْرِبِيَّةٌ
نشرت بمناسبة صدور
موسوعة أعلام المغرب
دار الغرب الإسلامي

نشر المثاني
لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الطيب القادري

القسم الرابع

تحقيق

محمد حجي أحمد التوفيق

معه

تذكرة المحسنين
بوفيات الأعيان وحوادث السنين

لعبد الكبير الفاسي

مصادر ومراجع الدّراسة:

ـ **الإفتاء والتّاريخ: قضية المرجع الديني في النقاش حول التّنمية في الإسلام**، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 1441 هـ، 2019 م.

ـ أحمد التّوفيق، **في تاريخ المغرب**، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2019.

ـ **المجتمع المغربي في القرن التّاسع عشر، إينولتان 1850-1912**، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 1983.

ـ **بعض جوانب تاريخ المغرب الاجتماعي في القرن 19: اينولتان من 1850 إلى 1912**، أحمد التّوفيق، دبلوم الدّراسات العليا: الرّباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية: 1976.

ـ التادلي، **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2010.

ـ **دعامة اليقين في زعامة المتقين: مناقب الشّيخ أبي يعزى**، الرّباط: مكتبة خدمة الكتاب، إيداع 1989.

ـ أحمد التّوفيق، **مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السّائبة والجبال**، محمد بن عبد الله الكيكي؛ تحقيق أحمد التّوفيق، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

ـ أحمد التّوفيق، **السّيل**: رواية، الرّباط: دار الأمان، 1998.

ـ أحمد التّوفيق، **غريبة الحسين**، الدّار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2000.

ـ أحمد التّوفيق، **غريبة الحسين**، الدّار البيضاء؛ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2018.

ـ أحمد التّوفيق، **شجيرة حناء وقمر**، مراكش: دار القبة الزرقاء، 1998.

ـ أحمد التّوفيق، **جارات أبي موسى**، الدّار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2017.

ـ أحمد التّوفيق، **والدٌ وما ولدَ: طفولة في سفح الظّل**، الدّار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009.

ـ أحمد التّوفيق، **والدٌ وما ولدَ: الطّريق إلى المدينة**، الدّار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2014.

ـ محمد الغجدامي، **التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات**، تقديم وتحقيق أحمد التوفيق، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة)، 2019.

- محمد مفتاح، ما وراء تحقيق النّصوص، ضمن **النص من القراءة إلى التنظير**، إعداد وتقديم أبو بكر العزاوي، الدّار البيضاء: شركة النّشر والتّوزيع المدارس، 2000.

ـ المصطفى مويقن، المتخيل الديني في رواية «جارات أبي موسى» ـ الكرامة الصّوفية نموذجا ـ، ضمن مجلة فكر ونقد، ص 32.

ـ خورخي لويس بورخيس، **ذاكرة فونس**، ضمن **قصص**، ترجمة محمّد أبو العطا القاهرة، المركز القومي للترجمة.

ـ لسان الدين ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، فصل في ذكر جبل هنتاتة، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، راجعه: عبد العزيز الأهواني، دار النّشر المغربية، الدار البيضاء.

ـ أحمد التّوفيق، التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن **التّاريخ وأدب المناقب**، الرّباط: منشورات عكاظ، 1989.

- محمد الجزولي، **دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصّلاة على النّبي المختار ونصوص أخرى في الدّعاء والمديح = Dala'il al-Khayrat wa Shawariq al-Anwar fi as-Salat 'la an-Nabiyy al-Mukhtar et autres textes panégyriques et d'invocation**، تقديم وتعليق: أحمد التّوفيق وماري-جونفييف جيدون، الرّباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003.

- عبد الواحد بن عاشر أبو محمد، **متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من الدين**، مكتبة القاهرة.

- غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتوزيع، 1987

- حميدة صالح البلداوي، **الأدب الأنْدلُسي، موضوعاته وخصائصه**، بغداد، 2002.

- عبد الفتاح كيليطو، **إبراهيم وضيفه، ضمن الغائب، دراسة في مقامة للحريري**، دار توبقال، الطّبعة الثّالثة، 2007،

- أحمد التّوفيق، **ملاحظات وتساؤلات بصدد تكون الدولة المغربية**، آفاق: مجلة دورية. ع. 58, 1996, الرباط: اتحاد كتّاب المغرب، ص. 106-109.

- جرمان عياش، مسألة الوثائق التّاريخية المغربية، ضمن **دراسات في تاريخ المغرب**، الرباط: الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1986.

- عمر أفا، جرمان عياش: سيرة مختصرة، ضمن **دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش**، [أعمال ندوة علمية عقدت ما بين 16 و17 يناير 1992]، الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994.

عياش، جرمان (1915-1990)، **جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860**، الرّباط: المطبعة المغربية روايال، 1959.

- شهادة أحمد التّوفيق، ضمن **جرمان عياش المؤرخ المناضل**، تنسيق عبد الرّحمان المودن وعبد العزيز بل الفايدة، الرباط: الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2015 (الرباط: مطابع الرباط نت).

- مهدي عامل، **نقد الفكر اليومي**، ضمن الأعمال الكاملة، دار الفَارَابي، الطّبعة الثّانية، 1989.

- ابن عجيبة، **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، المكتبة التّوفيقية، القاهرة، 2008.

- أبو بكر بن عربي، **التّدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**، مخطوط مكتبة الرّياض، رقم 214/ ت، ع، خط بعد القادر بن الشّيخ سبور كلي (1206هـ).

- نور الدين الزّاهي، **بركة السّلطان**، دفاتر وجهة نظر، رقم 12، 2007.

- إدوارد سعيد، **خارج المكان**: مذكرات، ترجمة فواز طرابلسي، بيروت: دار الآداب، 2000

- ابن مشيش، شيخ الشّاذلي، زكية زوانات، ترجمة: أحمد التّوفيق، الدار البيضاء: مطبعة النّجاح الجديدة، 2006.

- خ. ل. بورخيس، **المرايا والمتاهات: قصص**، ترجمة إبراهيم الخطيب، الدّار البيضاء: دار توبقال، 1987.

اللجنة العلمية الاستشارية

- د. أحمد شوقي بنبين؛ الخزانة الملكية – المغرب.
- د. عزير أبو شرع؛ جامعة ابن طفيل – المغرب.
- د. محمد لشقر؛ جامعة مولاي إسماعيل – المغرب.
- د. عبد الله الرشدي؛ مؤسسة دار الحديث الحسنية – المغرب.
- د. مراد تدغوت؛ جامعة جوته – ألمانيا
- د. المختار شاكر؛ جامعة القرويين – المغرب.
- د. مصطفى السعيدي؛ جامعة عبد المالك السعدي – المغرب.
- د. محمد مستقيم؛ جامعة محمد الأول – المغرب.
- دة. للا عائشة عدنان؛ جامعة القرويين – المغرب.
- دة. خير النساء كيكليك، جامعة بورصا اولوداغ – تركيا.
- Dr. Jules Janssens; KU Leuven - Belguim.
- Dr. Delfina Serranos; ILC, CSIC - Spain.

مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط
Rawafed center for Studies and Researches in Maghreb Civilization and Mediterranean Heritage

مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط.

مؤسسة بحثية متخصصة في الفكر المغربي-الأندلسي والدراسات التراثية.

Rawafed Center for Studies and Research in the Maghreb Civilization and the Mediterranean Heritage.

A Research Institution Specialized in Maghreb-Andalusian thought and Heritage Studies.

Email: centrerawafed@gmail.com

centrerawafed

جميع الحقوق محفوظة © 2019